

دعوة الحق

مجلة شهرية تعنى بالمراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والعكر
تُصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالملكة المغربية



الفكر المغربي في مقالات مجلة دعوة الحق

424

السنة الستون - العدد 424 رجب 1439هـ / أبريل 2018م

دعوة الحق

مجلة شهرية تُعنى بالدراسات الإسلامية وبشؤون الثقافة والعكر
تصدرها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمملكة المغربية

السنة الستون - العدد 424 رجب 1439هـ / أبريل 2018م



أسسها

جلالة الملك المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه
سنة 1376هـ / 1957م

”... ولعلك ستنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة
تُعنى بصحة خاصة بنامية الإصلاح الديني، كما نحتاج
مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وكسيد الأمل في
أن يلتفت مولانا دعاية الفكر والثقافة والإصلاح في هذه
البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء.
وعسى أن تملك مجلة ”دعوة الحق“ سبل النجاة والتوفيق“.

من الكلمة التي وجهها المغفور له جلالة الملك محمد الخامس طيب الله ثراه
إلى مجلة دعوة الحق، بمناسبة صدورها في شهر يوليوز 1957

إلى وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والشؤون الإسلامية
للإسلامية في المغرب العربي والاندلس والأندلس
الغربية عاونها في سنة 1376هـ

- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.

العنوان : مديرية الشؤون الإسلامية، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية المشور السعيد - الرباط
الموقع الإلكتروني : www.daouatalhaq.ma - البريد الإلكتروني : daawatalhak@mhaj.gov.ma

هاتف التحرير : 05 37 76 59 05 - هاتف مدير المجلة : 05 37 66 06 74
فاكس : 05 37 76 17 21

التوزيع : هاتف وفاكس : 05 37 76 32 10

الحساب البنكي : القرض الفلاحي - وكالة الحسابات الكبرى - الرباط :

RIB : 225-810-0195092946510102-88

الاشتراكات في المجلة : الاشتراك التشجيعي : 500 درهم - المملكة المغربية : 150 دھ
الخارج : 300 درهم ثمن العدد : 15 دھ

رقم الإيداع القانوني : 1981/3

الرقم الدولي : 1981PE0003

الإخراج الفني والطباعة : مطبعة الأمانة - الرباط

مدير المجلة :

الأستاذ أحمد قسطاس



رئيس التحرير :

الأستاذ عبد الحميد العلمي



أمير المؤمنين صاحب الجلالة الملك محمد السادس نصره الله وأيده



صاحب السمو الملكي الأمير السعيد مولاي رشيد حفظه الله

افتتاحية

لما كان الإقدام على العلوم الشرعية والدراسات الإنسانية من أجل الأمور شأنا وأرجعها فكمرا، فقد هيا الله سبحانه وتعالى لها علماء أجلاء عملوا على نشر علومها وضح رسومها، فكتب لها الذبوع والانتشار، وأصبح على عاتق الخلب الأخيار نشر ما حوته من اللطائف والأسرار.

وفد كان للمغرب الأقصى حضور زانه أعلام مبرزون ضربوا بسهم وأجر في مختلف العلوم، فضمنوا إقبال المارسين، وتوافد الطلبة والمتعلمين.

ولا غرو أن يكون للفانمين على أمرنا، والساشرين على مصالح ولصنا شرف الاعتناء بالعلم والعلماء، ومنهم جلالة المغفور له محمد الخامس لصيب الله ثراه، الذي جعل من اهتماماته العرص على إصدار مجلة جامعة تعنى بفضايا الإصلاح في أبعادها الدينية والعكرية والثقافية. وقد عبر عن ذلك بقوله: "ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصحة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية. ولنا وصيد الأمل في أن يلتب حولها طعالة الفكر والثقافة والإصلاح في هذا البلاد وغيرها، لتؤدي مهمتها خير أداء، وعسى أن تسلم مجلة الدعوة الحق سبل النجاة والتوفيق".

وبهذا يمكن اعتبار هذا المجلة كسبا حقيقيا للثقافة العربية والإسلامية، إذ في رحابها نهضت همم الصحفيين، وبسببها تامت رغبات الفاضلين.

واستجابة لرغبة مؤسسها في أن تحضى أعمالها بالنجاح والتوفيق، وبمناسبة الذكرى الستين لتأسيسها (1377هـ/1957م - 1439هـ/2017م)، يسعد أسرة مجلة الدعوة الحق أن تحصى هذا العمل للأعمال الكوراة الأولى من النكولة العلمية التي نظمت في موضوع: "العكر المغرب في كتابات مجلة الدعوة الحق" يومي 10 و11 فبراير 2018م، بمركز التوثيق والأنشطة الثقافية بالدار البيضاء، التي شارك فيها أساتذة متخصصون بمفالات علمية في العفيلة الأشعرية والمذهب المالكي والتصوف السني والعكر الإسلامي والأدب العربي وعلم المنصو وبن الخلف المغرب والسيرة النبوية والديبلوماسية الخارجية وغيرها.

وعسى أن يكون ما فكم في هذا العمل حافزا لمواصلة البحث في موسوعة المجلة العلمية، والتعريف بثوابتنا الدينية حكمة لفضايانا الوطنية.

رئيس التحرير

مفالات العدد



فقه النوازل في مقالات مجلة دعوة الحق: إحصاء وتصنيف

ذ. مصطفى الصمدي

جامعة الحسن الثاني / الدار البيضاء

لقد تشرفت بدعوة القائمين على مجلة "دعوة الحق"، هذه المعلمة الفكرية المغربية الشهيرة التي طبقت شهرتها الآفاق وكتب فيها أعلام الفكر الإصلاحي من المغرب وخارجه منذ ما يزيد على ستين سنة فأضحت بعد هذه المدة الطويلة ديوانا مرجعيا في كثير من الفنون والحقول المعرفية بما جعل فكرة التصنيف الموضوعي لمقالات المجلة أمرا ملحا وحاجة ماسة بغية تدليل أمر الإفادة من موادها بالنسبة للباحثين والدارسين وطلبة العلم، ومن هنا جاءت فكرة عقد هذا اللقاء العلمي بين خيرة الأساتذة في الدراسات الإسلامية والتاريخ والتصوف والأدب وعلم المخطوط والخط المغربي وغيرها من التخصصات كل من موقع تخصصه لتفكيك المادة العلمية للمجلة وإعادة تصنيفها.

وهكذا كلفت بجمع مادة فقه النوازل من المجلة فاستجبت وما ترددت لسببين اثنين:

فأما السبب الأول فاهتمامي الخاص بهذا العلم الذي برع فيه المغاربة وبزوا أقرانهم من المشاركة تأليفا وشرحا واختصارا.

وأما السبب الثاني فرغبتي في معرفة حجم حضور هذا الفن في هذه المجلة الغراء

ولم أشأ أن أقوم بالإحصاء والاستقراء دون أن أوطئ لهذا العمل بمقدمة موجزة تبين طبيعة هذا العلم وسماته على مستوى الشكل والمضمون، ثم أخلص بعد ذلك إلى رصد حجم مادة فقه النوازل وترتيبها ضمن عناصر ثلاثة شملت: الأعلام والموضوعات والمنهج، وختمت هذا العمل بخلاصة واستنتاج عام.

ومؤلفاتهم، ومقالات أخرى تناولت أجوبة فقهية في موضوعات محددة أنبأت عن خط المفتي وأصوله المعتمدة في الإفتاء وكتب آخرون في المناهج والأصول المعتمدة.

ويجدر التنبيه إلى أن المجلة خصصت عددا خاصا لفقه النوازل في المذهب المالكي: قضايا وأعلام وهو العدد 396 جمادى الثانية 1431هـ يونيو 2010م، وعدد آخر تحت عنوان "أصول الفتوى بالمغرب الأقصى، عدد 411 رجب 1436هـ ماي 2015م، وما عدا هذين العددين الخاصين بهذا الفن جاءت مقالات النوازل متفرقة فيها حسب التصنيف الآتي:

أ - مقالات حول أعلام فقه النوازل:

- الفقيه علي بن عبد السلام التسولي ونوازله، الحسن اليوبي/ العدد 297 شوال-ذو القعدة-
ذو الحجة 1413/ أبريل-ماي-يونيو 1993

استهل المؤلف بحثه بنبذة موجزة عن حياة الفقيه علي بن عبد السلام التسولي، ثم وصف النسخة المخطوطة التي اطلع عليها والمحفوظة بالخزانة الملكية بالرباط والموسومة بـ "الجواهر النفيسة مما يتكرر من الحوادث الغريبة"

تشكل هذه الفتاوى - كغيرها من الفتاوى - قيمة كبرى في المجال الفقهي خصوصا وأنها تمثل في غالب الأحيان اجتهادات فقهية تتناول ما جد في حياة الناس من أحداث، كما أنها تعتبر مادة خصبة يستمد منها الباحث الاجتماعي معالم مهمة من حياة المجتمع والعصر الذي تمثله.

- الشيخ عبد القادر بن علي بن يوسف الفاسي [1007 - 1091 هجرية] وكتابه النوازل الصغرى / للأستاذ علي الإبراهيمي / عدد 396 / جمادى الثانية 1431هـ، يونيو 2010م.

- الفقيه النوازلي المهدي الوزاني / الأستاذ محمد الحفظاوي/ عدد 396 جمادى الثانية 1431هـ /
يونيو 2010م.

- النوازل الكبرى للمفتي محمد الحاج الرهوني الوزاني: قضايا ومواقف وتوجهات /
الأستاذ عبد الإله الغزاوي / عدد 396 / جمادى الثانية 1431هـ، يونيو 2010م.

- الرحلات الحجية أوعية للفتاوى والنوازل الفقهية: الرحلة العياشية والرحلة الناصرية نموذجين / الأستاذ عبد القادر مسعود / عدد 411 / السنة السابعة والخمسون / رجب 1436هـ، ماي 2015م.

- الإشعاع العلمي في سوس: الأجوبة العباسية للشيخ أحمد العباسي (ت 1152هـ) نموذج من النوازل السوسية/ ذ / إبراهيم المعتصم / عدد 411 السنة السابعة والخمسون / رجب 1436هـ، ماي 2015م.

- فتاوى النوازل في القضاء المالكي المغربي/ العدد 205

قدم المؤلف البحث بمقدمة تحدث فيها عن الفتاوى والسؤال والاستفتاء في صدر الإسلام وفي حياة أئمة المذاهب الأربعة ثم انتقل إلى الكلام عن الفتيا في المغرب التي أقبل عليها كل من آنس من نفسه مقدرة أو رآه الناس أهلا لها.

ويشهد لهذا ما كانت عليه القيروان وفاس وقرطبة ومراكش من كثرة الفقهاء المنكبين على أصول التشريع وفروع المذهب حيث أشبعوها درسا وبحثا وتعليقا وأغنوها تأليفا وتدوينا ... وكان لهم شأو لا يدرك في مضمار الفتوى ... لقد أكثروا فيها من التأليف والمجاميع ... وتفننوا وتنوعوا ... وأسهبوا وأطنبوا وأكثروا وأسرفوا ... حتى إن الباحث ليقف مشدوها أمام هذا التراث الضخم الذي خلده الأسلاف وسجلوه ودونوه في مئات الأسفار والمجلدات طيلة قرون وقرون ...

وقال المؤلف: "إن فقهاءنا الأكرمين - القضاة منهم والمفتون - عرفوا الداء وعرفوا الدواء ووضعوا العهن موضع النقب ونقلوا نصوص الفقه النظرية إلى مواقع العمل بها ... تطبيقا وتنفيذا ... في المحاكم وفي الأسواق وفي البيوت وفي الطرقات وبيوت المال والتجارة والصناعة والزراعة والملاحة وميادين القتال والجهاد ... إلى غير ذلك من مواقع الحياة ومعترك البشر ... فهناك ترى الفقهاء يصلولون ويجولون ... وأصحاب النوازل يعالجون المشاكل ويقدمون لها الحلول هكذا تشعر وأنت تتصفح كتب النوازل إنك ترى الفقيه المفتي يستعرض الأقوال ويحاول أن يستخرج منها عناصر التركيبية التي يقدمها بنفسه للسائل أو يقدمها للقاضي علاجا ناجعا للمشاكل وقطعا لدابر الشكوى والفتن وحسما لداء النزاع ...

مكانته العلمية التي بوأته مكان الصدارة بين علماء المغرب وجعلت من موسوعته مصدرا لا غنى عنه للباحثين..

وقد ذكر المؤلف في هذه المقالة أن "نوازل عياض"، و"نوازل" القاضي عبد الله ابن دبوس، ومسائل ابن زكون أقدم ما ألفه المغاربة، أو ما وصل إلينا مما ألفوه في موضوع النوازل، ثم توالى بعد هؤلاء الاهتمام بالتأليف في النوازل،

وقال المؤلف : "ولا أظن أن عصرا خلا من ظهور مصنف في الموضوع، فالأحداث والوقائع تتجدد وتختلف من عصر لآخر، والناس بحاجة دوما لمعرفة حكم الشرع فيما يجد من نوازل، والفقه الذي هو "معرفة الأحكام الشرعية التي طريقها الاجتهاد" قادر على مواكبة المستجدات وضبط أمور الناس ووضعها في إطارها الإسلامي لذلك حرص طائفة من علماء المغرب على تصنيف نوازل الفقهاء المعاصرين لهم أو السابقين لعصرهم في موسوعات جمعت أبحاثا ودراسات وأجوبة لفقهاء عاشوا في عصور مختلفة.

ويأتي كتاب "المعيار" للونشريسي في مقدمة هذه الموسوعات الفقهية الهامة، فهو يحتوي على عدد كبير من النوازل، هي أجوبة أو حلول لمشاكل وقعت لشخص أو أشخاص، تولى طائفة من المفتين- أمثال ابن رشد وابن زرب، والشاطبي، من "الأندلس"، والياصلوتي والقباب، وابن مرزوق، والمشدالي من (المغرب)، وسحنون والقابسي والمازري، من (تونس)- البحث عن حلول لها..

- الأصول المعتمدة في الفتوى بالمغرب الأقصى / الأستاذ حمادي شرف الدين / عدد 411 / السنة السابعة والخمسون / رجب 1436 هـ / ماي 2015 م.

- مؤسسة الفتوى ومنزلتها في التراتيب الإدارية / الأستاذ عبد القادر البيطار / عدد 411 / السنة السابعة والخمسون / رجب 1436 هـ / ماي 2015 م.

- محدّدات الفتوى في الواقع الافتراضي: من أجل اجتهاد منضبط لسياق مضطرب / الأستاذ محمد الهاطي / عدد 411 / السنة السابعة والخمسون / رجب 1436 هـ / ماي 2015 م.

- نوازل بلاد المغرب والأندلس خلال العصر الوسيط: تقديم وترتيب بيبليوكرونولوجي / محمد ياسر الهلالي / عدد 411 السنة السابعة والخمسون / رجب 1436 هـ / ماي 2015 م.

العقيدة الأشعرية من خلال مقالات مجلة "دعوة الحق"

ذ. أحمد شاوف الجعفري

مدير مركز التوثيق والأنشطة الثقافية

بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بمكناس

قامت المجالات التي تعنى بالدراسات الإسلامية وشؤون الثقافة والفكر بدور أساسي وعميق في تكوين عقلية الأجيال العربية والإسلامية وصقل وعيها وتحفيزها على ممارسة الكتابة واستكشاف الرؤى الجديدة نحو الذات والعالم، واستجلاء المواقف والصور الفكرية من خضم تياراتها واتجاهاتها القديمة والحديثة.

ومن أهم تلك المجالات التي لها أثر واضح في الوجدان مجلة "دعوة الحق"، التي لم يكن من سبيل الصدفة ولا من قبيل المجازفة أن تسمت بهذا الاسم، واتخذته لها عنوانا، ولبسته رداء، وتلفتت به ذاتا وموضوعا، وإنما هي تسمية نابعة من صميم أهدافها، منبعثة من أعماق مقاصدها، ممثلة لقوله سبحانه في محكم تنزيله: ﴿له دعوة الحق﴾¹.

ذلك أن "دعوة الحق" اسم يطابق مسماه، وينبئ عن لفظه ومعناه، ويفصح عن مضمونه ومبناه ويبين محتواه ومقصوده الذي هو الدعوة إلى الله، والعمل لوجهه في رحابه، ونشر تعاليم دينه، وآداب لغة كتابه، جهارا من غير إسرار، وإظهارا من غير إضمار، فأماطت اللثام عن كنوز الإسلام، وقشعت الغمام عن حضارته الخالدة وفكره الغزير.

وقد كانت توجيهات جلالة الملك محمد الخامس رحمه الله للمجلة في عددها الأول حافزا لها على تحمل المسؤولية، وبراسا أضاء لها معالم الطريق الطويل في عهد الاستقلال وهو طريق البناء لهذا الاستقلال.

1 - سورة الرعد، الآية: 15.

وإبراز حضارته وأصالته وقيمته، فكانت وسيلة من وسائل التعريف بثقافتنا الإسلامية وهويتنا العربية المغربية الأصيلة وما تزرخ به من الإرث الثقافي العظيم الذي خلفه لنا السلف ويضيف إليه اليوم الخلف.

كان ظهور "دعوة الحق" إذن على موعد مع التاريخ وخرجت إلى الميدان في الظرف المناسب واللحظة الحاسمة، فكان من الطبيعي أن استبشر بها حماة الثقافة الإسلامية وحراس لغة الضاد خيرا فاستقبلوها بالأحضان ومنحوها حبا وعطفا وأولوها عناية واهتماما يغذونها ببنات أفكارهم، ويغدقون عليها بعصارة عقولهم يوثرونها بما لديهم، ولا ييخلون عليها بالنصح والتشجيع، لعلمهم أن هذه المجلة تعني بالنسبة إليهم التاريخ والشخصية والهوية...

وإذا جاز أن أختصر الكلام اختصارا ونوجز العبارة متجاوزا المقدمات وصولا إلى النتيجة من أقرب طريق وبأقل كلام، لقلت: إن مجلة "دعوة الحق" تعد قلعة من القلاع التي احتمت بها الثقافة الإسلامية في هذا البلد، وحصنا من الحصون الذي آوت إليه طوال ستين سنة³.

ولم تغفل هذه المجلة المباركة أي جانب من جوانب الثقافة الإسلامية، إذ المتأمل في أعدادها المتجول عبر صفحاتها، يلاحظ أنها اعتنت بالقرآن وعلومه، والحديث وفنونه، والفقه وأصوله، والسيرة النبوية العطرة وفقهها، والحضارة الإسلامية المشرقة، والعقيدة الإسلامية الطاهرة، فضلا عن اهتمامها بالفكر السياسي والحقوقى والاجتماعي والتاريخي والأدبي والتنموي والعمراني والفني، وغير ذلك...

وما يهمني في هذا المقال هو الجانب المتعلق بالعقيدة، وخاصة العقيدة الأشعرية التي تشكل ثابتا من ثوابت المملكة المغربية ومعلما من معالم هويتنا الثقافية.

ذلك أن العقيدة الأشعرية⁴ ارتبطت بتاريخ المغرب ارتباطا قويا وطويلا، امتد أكثر من عشرة قرون، وهذا يدل دلالة صريحة على أن الدولة المغربية لمست في العقيدة الأشعرية حفاظا على جوهر التوحيد، والقيام على الوسطية والاعتدال، والحرص على درء التشبيه والتعطيل، وتجاوز التأويل البعيد الذي يصادر دلالة النص من غير داع ملجئ إليه.

3 - ن. مجلة دعوة الحق عدد 223 في مقال بعنوان: "دور مجلة دعوة الحق في خدمة الثقافة المغربية"

4 - نسبة إلى علي بن إسماعيل بن بشر بن إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن بلال بن بردة بن موسى الأشعري. وكنيته أبو الحسن ويلقب بناصر الدين وناصر السنة وإمام المتكلمين. ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري رضي الله عنها.

منهجية وعلمية مقررة وثابتة تمكن المفسر من سبر أغوار الخطاب القرآني ورفع الحجب عن معانيه⁸.

وهذا ما أكدّه الأستاذ محمد يعقوبي خبيزة في العددين: 305 و306 من المجلة، وذلك في مقال له بعنوان: "مجمّل مواقف علماء الأمة الإسلامية من تأويل متشابهات النصوص الشرعية" حيث قال: "لقد اتفق علماء الأمة قاطبة على أن المعنى الظاهر من المتشابه غير مراد للشارع قطعاً، وذلك لقيام الأدلة القطعية على بطلانه واستحالته بالعقل، وبما هو معروف عن الشارع نفسه في محكماته.

فمثلاً قوله تعالى: ﴿الرحمان على العرش استوى﴾⁹ يتفق الجميع من العلماء سلف أهل السنة وخلفهم - وكذا العقلانيين من المتكلمين - على أن ظاهرة الاستواء على العرش بمعنى الجلوس على كرسي والتمكن عليه والتحيز فيه ... مستحيل، لأن الأدلة القطعية تنزه الله تعالى عن أن يشبهه خلقه أو أن يحتاج إلى شيء مخلوق، سواء أكان مكاناً يحل فيه المماثلة لخلقه في أي شيء، فأثبت لنفسه الغنى المطلق. فقال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾¹⁰. وعدم مماثلة الخالق للمخلوق جعله الإمام الأشعري رحمه الله ضمن الأصول المجمع عليها من السلف، (لأنه تعالى لو كان شبيهاً لشيء من خلقه لاقتضى من الحدث والحاجة إلى محدث له ما اقتضاه ذلك الذي أشبهه، أو اقتضى ذلك قدم ما أشبهه من خلقه، وقد قامت الأدلة على حدوث جميع الخلق...) ¹². ويزيد الكلام تأكيداً من خلال كتابه "رسالة إلى أهل الثغر" حيث ذهب إلى (أنه لو أشبهها لكان حكمه في الحدث حكمها، ولو أشبهها لم يخل من أن يشبهها من كل الجهات أو من بعضها، فإن أشبهها من جميع الجهات كان محدثاً مثلها من جميع الجهات، وإن أشبهها من بعضها كان محدثاً من حيث أشبهها، ويستحيل أن يكون المحدث لم يزل قديماً، وقد قال تعالى: ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير﴾¹³ وقال سبحانه: ﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾^{14,15}.

8 - مجلة دعوة الحق، العدد 343، محرم 1420 مايو 1999، موقف أهل السنة من قضية التأويل، لأحمد بزوي الضاوي.

9 - سورة طه، الآية: 4.

10 - سورة الشورى، الآية: 9.

11 - مجلة دعوة الحق، العددان 305 و306، مجمّل مواقف علماء الأمة الإسلامية من تأويل متشابهات النصوص الشرعية، لمحمد يعقوبي خبيزة.

12 - اللمع في الرد على أهل الزيغ والبدع، لأبي الحسن الأشعري، ص: 83.

13 - سورة الشورى، الآية: 9.

14 - سورة الإخلاص، الآية: 4.

15 - رسالة إلى أهل الثغر، لأبي الحسن الأشعري، ص: 134.

الأصل الثاني: القرآن كلام الله

مذهب الأشاعرة في هذا الأصل التوفيق بين المذهب القائل بأن القرآن كلام الله غير مخلوق²⁸، والقائل بأنه مخلوق²⁹. فالأشاعرة فرقوا بين المعنى واللفظ، فالكلام الذي يثبتونه لله تعالى هو معنى أزلي أبدي قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت ولا يوصف بالخبر ولا بالإنشاء.

فالقرآن عندهم إذن عبارة عن كلام الله النفسي، والكلام النفسي شيء واحد في ذاته، فهم يعتبرون صفة الكلام قديمة كسائر الصفات. فكلام الله قديم، والقرآن بذلك يكون قديماً، لكن إذا جاء التعبير عنه بالعبرانية فهو تورا، وإن جاء التعبير عنه بالسريانية فهو إنجيل وإن جاء بالعربية فهو قرآن. قال أبو الحسن الأشعري في الإبانة: "إن سأل سائل عن الدليل على أن القرآن كلام الله غير مخلوق. قيل له الدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره﴾"³⁰، وأمر الله كلامه فلما أمرهما بالقيام فقامتا لا يهويان؟ كان قيامهما بأمره. وقال عز وجل: ﴿ألا له الخلق والأمر﴾"³¹، فالخلق جميع ما خلق داخل فيه لأن الكلام إذا كان لفظه عاماً فحقيقته أنه عام ولا يجوز لنا أن نزيل الكلام عن حقيقته بغير حجة ولا برهان فلما قال: (ألا له الخلق) كان هذا في جميع الخلق ولما قال: (والأمر) ذكر أمراً غير جميع الخلق فدل ما وصفنا على أن أمر الله غير مخلوق.

فإن قال قائل: أليس قد قال الله تعالى في كتابه: (من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل)³². قيل له: نحن نخص القرآن بالإجماع وبالدليل، فلما ذكر الله عز وجل نفسه وملائكته ولم يدخل في ذكر الملائكة جبريل وميكائيل وإن كانا من الملائكة ثم ذكرهما بعد ذلك كأنه قال: الملائكة إلا جبريل وميكائيل ثم ذكرهم بعد ذكر الملائكة فقال: وجبريل وميكائيل. ولما قال: (ألا له الخلق والأمر)، ولم يخص قوله: "الخلق" دليل، كان قوله: "ألا له الخلق" في جميع الخلق ثم قال بعد ذكره الخلق: "والأمر" فأبان الأمر من الخلق وأمر الله كلامه وهذا يوجب أن كلام الله غير مخلوق³³. وقال

28 - وهو مذهب أهل السنة والجماعة.

29 - وهو مذهب المعتزلة.

30 - سورة الروم الآية 24

31 - سورة الأعراف الآية 53

32 - سورة البقرة الآية 97

33 - الإبانة عن أصول الديانة، أبو الحسن الأشعري ص: 63

عاقِل، وإن مبدأ هذه الأسباب التي ترى في الظاهر مؤثرة إنما هي بيد مدبر الكون الأعظم الذي أبدع الأشياء على وفق حكمته وجعل كل حادث تابعا لشبهه كأنه جزء له خصوصا في العالم الإنساني³⁶.

إن هذا الأصل الاعتقادي عند الأشاعرة "يبحث على اقتحام المهالك التي ترجف لها قلوب الأسود وتنشق منها مرائر النمر، هذا الاعتقاد يطبع الأنفس على الثبات واحتمال المكارِه ومقارعة الأهوال ويحليها بحلى الجود والسماح ويدعوها إلى الخروج من كل ما يعز عليها، بل يحملها على بذل الأرواح والتخلي عن نصره المادة، كل هذا في سبيل الحق الذي دعاها للاعتقاد بهذه العقيدة. الذي يعتقد أن الأجل محدود والرزق مكفول، والأشياء بيد الله يصرفها كما يشاء، كيف يرهب الحوادث في الدفاع عن حقه، وإعلاء كلمة ملته، والقيام بما فرض الله عليه ذلك، وكيف يخشى الفقر ممن ينفق من ماله في تعزيز الحق وتشديد المجد على حسب الأوامر الإلهية وأصول الجماعات البشرية، لقد امتدح الله جلّت قدرته المسلمين بهذا الاعتقاد مع بيان فضيلته في قوله تعالى: ﴿الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا، وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل، فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله، والله ذو فضل عظيم﴾³⁷.

وأما فيما يتعلق بمعالجة هذا الموضوع العقدي ضمن عدة مواضيع، فإن ذلك يتضح من خلال ما نشر في العدد 58 بعنوان: "محن المسلمين وكيف الخروج منها"، حيث بينت المجلة أنه من سبل الخروج من المحن التي يعاني منها المسلمون ما يتعلق بترسيخ عقيدة الإيثار بالقضاء والقدر، لأن "عقيدة القضاء والقدر تلزم المسلم أن يعتقد جازما أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، ومع ذلك يجب عليه أن يتوقى الشر ويحذر، ويتعرض للخير ويعمل له، ويبدل ما يمكنه من الجهد والطاقة في التقوى والحذر، وفي السعي للخير والعمل من أجل الحصول عليه"³⁸.

الأصل الرابع: رؤية الله بالأبصار ثابتة في الآخرة.

يعتبر هذا الأصل من أهم أصول المذهب الأشعري، لأن أبا الحسن الأشعري رحمه الله أقام هذا الأصل ردا على المعتزلة الذين ينفون رؤية الله. وأنكر ما ذهب إليه الحشوية والمعتزلة والجهمية من نزغات متطرفة فيما يتعلق برؤية الله تعالى، ويدل على ذلك ما قاله المقرئ رحمه الله تعالى أثناء

36 - مجلة دعوة الحق، عدد 58، عقيدة القضاء والقدر

37 - سورة آل عمران، الآيات، 173-174

38 - مجلة دعوة الحق العدد 146، محن المسلمين وكيف الخروج منها.

القيم في "حادي الأرواح" فبلغت الثلاثين وأكثرها جياذ، وأسند الدارقطني عن يحيى بن معين قال: عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية صحاح⁴³.

الأصل الخامس: مرتكب الكبيرة يظل مؤمناً، ولكنه يعاقب في الآخرة:

أنشأ الإمام الأشعري رحمه الله هذا الأصل للرد على المعتزلة من جهة، وعلى الخوارج والمرجئة من جهة أخرى،

فأما ما يتعلق برده على المعتزلة، فإن ذلك راجع إلى أن هذه الفرقة تعتبر مرتكب الكبيرة في منزلة بين منزلتي الإيمان والكفر، أي أنه ليس بمؤمن مطلق ولا كافر مطلق.

ففي العدد 305 و306 مقال بعنوان: "مجمل مواقف علماء الأمة الإسلامية من تأويل متشابهات النصوص الشرعية"، لكتابه الأستاذ محمد يعقوبي خبيزة رحمه الله حيث قال: "ففي البصرة التي كانت مركز المعارضة للدولة الأموية والتي كانت تعج بمختلف الآراء حول العقيدة، ظهر واصل بن عطاء تلميذا نابغا من تلاميذ الحسن البصري... ولكنه سرعان ما اعتزل حلقة أستاذه وكون لنفسه حلقة مستقلة... قال واصل: (أنا لا أقول: إن صاحب الكبيرة مؤمن مطلق، ولا كافر مطلق)"⁴⁴.

وبخصوص رده على الخوارج والمرجئة، فلأن الخوارج يكفرون مرتكب الكبيرة. وأما المرجئة فيعتبرون أن الإسلام يحصل بمجرد التصديق بدون عمل.

وبالرجوع إلى العدد 317، نجد موضوعاً بعنوان: "التوجيه الديني في العهد الحسني"، حيث قال كتبه الأستاذ أحمد بودهان: "ففي المجال العقدي نعلم أن العقيدة الأشعرية... وسطية بين الخوارج القائلين بتكفير مرتكب الكبيرة من أهل القبلة، وبين المرجئة الذين يزعمون أن الإسلام يحصل بمجرد التصديق، ولو لم يكن هناك أعمال الطاعات"⁴⁵.

الأصل السادس: الخوض والميزان والبرزخ والشفاعة.

سعت مجلة "دعوة الحق" إلى ترسيخ هذا الأصل من خلال نشرها للقصاصات التي تؤكد باختلاف تخصصاتها ومجالاتها.

43 - مجلة دعوة الحق، العدد 113، مشاهد القيامة في الحديث

44 - مجلة دعوة الحق، العدد 305 و306، مجمل مواقف علماء الأمة الإسلامية من تأويل متشابهات النصوص الشرعية، لمحمد يعقوبي خبيزة.

45 - مجلة دعوة الحق، العدد 317 شوال 1416هـ / 1996م، التوجيه الديني في العهد الحسني، لأحمد بودهان.

بمسألة تحديد النسل: "وعند التأمل نجد في السلالة قرابة من أربعة أوجه: ... والرابع طلب الشفاعة بمولد الولد الصغير إذا مات قبله"⁵⁰.

كما نجد أن مجلة "دعوة الحق" عاجلت هذا الأصل من خلال التعريف بالكتب التي يعنى أصحابها بهذا الأصل.

ومن ذلك ما جاء في العدد 176، أثناء الحديث عن المؤلفات المغربية في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ثمة الإشادة بإحدى المؤلفات، لأن صاحبها يؤكد هذا الأصل العقدي خاصة ما يتعلق منه بالشفاعة: "ومن المؤلفات المغربية الأخرى" إتمام النعمة وسبب نيل الشفاعة والنجاة بكشف القناع عن ألفاظ دلائل الخيرات "تأليف أبي العباس أحمد بن محمد بن عبد الرحمان بن أبي بكر السكوني الفجيجي مولدا ودارا، الحسني نسباً"⁵¹.

وتعريفا بكتاب "المقصد الشريف" للبادسي، ورد في العدد 228 من المجلة مقال تحت عنوان: "نظرات في كتاب": "المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف"⁵² تأليف عبد الحق بن إسماعيل البادسي"⁵³، لأن هذا الكتاب يسعى كاتبه من خلاله إلى ترسيخ هذا الأصل العقدي خاصة ما يتعلق منه بالبرزخ، حيث جاء فيه: "ويريد المؤلف أن يصل إلى أن الوضع الطبيعي هو أن تكون هناك استقلالية في خلق أرواح مرتبطة بأجسام تتصل بها عند الخلق، فإذا انفصلت بالموت بقيت في البرزخ تتعذب إن كانت منفصلة عن العاصين، وتنعم إن كانت منفصلة عن المحسنين، فإذا كان يوم الحشر ردت إلى أجسادها، وحينئذ ينعم الجميع أو يشقى الجميع"⁵⁴.

وأثناء الحديث عن المواضع الفقهية، نشر في العدد 357 مقال يتعلق بفقه الحج تحت عنوان: "ناسك الحج وآداب الزيارة"، لكنه يسعى إلى ترسيخ هذا الأصل العقدي خاصة ما يتعلق فيه

50 - مجلة دعوة الحق، العدد 56، موقف الغزالي من تحديد النسل.

51 - مجلة دعوة الحق، العدد 176 مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البرية صلى الله عليه وسلم.

52 - حققه الدكتور سعيد أعراب.

53 - عالم فاضل ومؤرخ وهو عبد الحق بن إسماعيل بن أحمد بن محمد بن الخضر البادسي الغرناطي، الذي ينتهي نسبه إلى قيس بن عباد الخزرجي، استوطن أحد أجداده غرناطة، وانتقل جده الأعلى إلى بادس. وبها ولد عبد الحق بن إسماعيل البادسي في حدود سنة 650هـ 1252م وكان حيا سنة 722هـ. أخذ العلم عن والده وعن جماعة من شيوخ بلده، كان يتردد على فاس ويسمع من مشايخها، ومن أخذ عنهم بها: أبو إبراهيم الأعرج الورياعلي.

54 - مجلة دعوة الحق، العدد 228، نظرات في كتاب: المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف. لعبد الحق بن إسماعيل البادسي.

عناية مجلة دعوة الحق بالمذهب المالكي

ذ. عبد الرزاق وورقية

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس

إن مجلة دعوة الحق ومنذ تأسيسها على يد المغفور له محمد الخامس، طيب الله ثراه، وهي تعرف بالثوابت الدينية المشكلة للهوية المغربية وتنافح عنها، ومن جملة هذه الثوابت المذهب المالكي مذهب المغاربة منذ مئات السنين، حيث قامت المجلة ومنذ أعدادها الأولى بالتعريف بالمدرسة المالكية وإمامها المؤسس وأعلامها المجتهدين ومصنفاته الأمهات والشروح والمختصرات، كما أبرزت عبر مقالات متعددة منهج الاستدلال المالكي وكذا بعض العلوم المنبثقة عن هذه المدرسة الفقهية المباركة، وبرع فيها أئمة المذهب، كعلوم القضاء والتوثيق والفتوى والعمران وما إلى ذلك من العلوم الخادمة لمقاصد الشرع في المجتمع المغربي عبر التاريخ.

ونظرا لأهمية هذه الجوانب العلمية المالكية التي جلتها مجلة دعوة الحق طيلة ستين سنة مضت من تاريخها المجيد، وجريا على المسار نفسه من العناية بالمذهب المالكي وبباقي الثوابت الدينية المغربية، سأحاول في هذا المقال تقديم نبذة عن أبرز ما أثلته المجلة في التعريف بالمذهب وترسيخه، وذلك وفق المحاور الآتية:

- عناية مجلة دعوة الحق بالمذهب المالكي

- التعريف بمؤسس المذهب وكتابه الموطأ

- تاريخ المذهب المالكي بالمغرب

- التعريف بالمصنفات في المذهب

- تقريب أصول المذهب المالكي

الشرعية كان مرجعها القانوني هو المذهب المالكي " وكانت تطبق أحكام الشريعة الإسلامية حسب المذهب المالكي "². وهذا بناء على أن سلطات الحماية اعترفت وأقرت تبعا للتشريع الأوروبي بمدينة المذهب المالكي وقيمة مدرسته التشريعية.

2. التعريف بمؤسس المذهب وكتابه الموطأ

• التعريف بالإمام مالك

اعتنت المجلة الغراء بالإمام مالك بوصفه مؤسس المذهب وبشخصيته، حيث نشرت مقالات معرفة به وبحياته العلمية ومؤلفاته وشيوخه وتلامذته... ففي مقال للأستاذ محمد العرايشي بعنوان: "مالك بن أنس وسر تشبث المغاربة بمذهبه" تم التطرق لبذرة عن حياة مالك العلمية وشخصيته وتمسكه بالكتاب والسنة وثناء العلماء عليه وكذا تحريه في الفتوى وأسباب تشبث المغاربة بمذهبه، ومما جاء في بداية المقال: "كثير هم أولئك الذين كتبوا عن حياة الإمام مالك، وأفاضوا القول في ترجمته وحلّلوا شخصيته تحليلا دقيقا، فتحدثوا عن نشأته الأولى ونبوغه المبكر وغزارة علمه، وتبحره في علم الحديث والفقه وسمو أخلاقه وصبره على المكروه بالإضافة إلى أكابر شيوخ الذين أخذ عنهم، وإلى فطاحل العلم الذين أنجبته مدرسته وكونتهم عبقريته، الشيء الذي أهله لأن يترفع على كرسي الحديث وأعطيت له الصلاحية في الفتوى وحده دون غيره من علماء المدينة.

ولذلك فإن الجديد في هذا الحديث هو تحليل ما كتب عن هذا الإمام العظيم، وإفراغه في أسلوب مبسط، ليكون مرجعا مصغرا لمن لم يتسع وقته لمراجعة المطلوبات...

وإن من بين الأئمة الأفاضل، إمامنا مالكا الذي قلد المغاربة مذهب منذ الفتح الإسلامي الأول. نظرا لسهولته ومرونته. والذي هو في الحقيقة مستمد من الكتاب والسنة والإجماع وعمل أهل المدينة المنورة وغير ذلك من الأدلة التي تعضد مذهبه وتقوي طريقة الأخذ به "³.

كما اهتم كتاب المجلة ببعض العلوم التي أسهم الإمام مالك في تأسيسها ومن ذلك علم التفسير وهذا ما نجده في مقال نفيس للأستاذ محمد عز الدين المعيار الإدريسي بعنوان: "أضواء على تفسير إمام دار الهجرة"، ومما جاء فيه قوله: "انصب الاهتمام بشخصية مالك العلمية - بالدرجة

2 - دعوة الحق، العدد: 27.

3 - مالك ابن أنس وسر تشبث المغاربة بمذهبه، محمد العرايشي، العدد 338 جمادى الثانية 1419هـ/ أكتوبر 1998م.

3. تاريخ المذهب المالكي في المغرب

• تاريخ دخول المذهب المالكي إلى المغرب

خصصت مجلة دعوة الحق عدة مقالات للحديث عن دخول المذهب المالكي إلى المغرب، وأسباب انتشاره في هذه الربوع، وفي هذه المقالات للمرحوم عمر الجيدي⁷ تم التطرق للتعريف بالمذهب المالكي ولتاريخ دخوله إلى المغرب ومناطق انتشاره.

وتطرق المرحوم الجيدي لجذور المذهب في المغرب وأرجعه إلى عهد الأدارسة، حيث قال بعد كلام "... إلى أن قامت دولة الأدارسة، فاتجهوا إلى المذهب المالكي، وذلك بأمر من المولى إدريس الذي دعا للأخذ به، واتباع منهجه، بعد أن جعله مذهباً رسمياً للدولة، وأصدر أمره لولاياته وقضاياه بذلك..."⁸.

• أسباب انتشار المذهب المالكي في المغرب وتشبث المغاربة به

وفي المقال الثاني من سلسلة "نظرات في تاريخ المذهب المالكي" تناول المرحوم الجيدي أسباب انتشار المذهب المالكي في الغرب الإسلامي⁹، وذكر ما يزيد عن ستة أسباب أوردها الدارسون والمؤرخون، منها: شخصية صاحب المذهب، وملاءمة مذهب مالك لطبيعة المغاربة، ومناهضة فقهاء المالكية لفقهاء الأحناف، والموقف المؤيد لبعض السلاطين، وتشابه البيئة في كل من الحجاز والمغرب، ورحلة المغاربة إلى الحجاز غالباً، مناهضة المذهب المالكي لمذهب الخوارج...، وغيرها.

أما الأستاذ محمد العرائشي في مقاله: "مالك بن أنس وسر تشبث المغاربة بمذهبه"، فقد ذكر من أسباب انتشار المذهب في المغرب: ما ذكره القاضي عياض في "المدارك" من أن السر في ذلك هو ما عرف عن الإمام مالك من التحري والتروي في الرواية وقلة اعتماده على الرأي¹⁰.

4. التعريف بالمصنفات في المذهب

كان من عادة مجلة دعوة الحق في كثير من أعدادها التعريف بمصنفات المالكية ولا سيما أمهات المصادر كالمدونة والموطأ، وشروحهما، وفيما يلي طرفاً مما تعرض له أصحاب المقالات في الباب:

7 - المقال الأول من سلسلة مقالات بعنوان: "نظرات في تاريخ المذهب المالكي" منشور بمجلة دعوة الحق، عدد 221.

8 - مقال بعنوان: "الجذور الأولى للمذهب المالكي في المغرب". عمر الجيدي، مجلة دعوة الحق عدد، 273.

9 - مجلة دعوة الحق العدد: 223.

10 - مالك ابن أنس وسر تشبث المغاربة بمذهبه، محمد العرائشي، العدد 338 جمادى الثانية 1419هـ/أكتوبر 1998 م

وفي هذا السياق ذكر المرحوم عمر الجيادي أكثر من سبعين فقيها ممن شرح أو علق أو اختصر المدونة، فهذه الكثرة من الشروح والتعليق والمختصرات تدل على ما كان للفقهاء من اهتمام خاص بكتاب المدونة والعناية به،

كما أشار الجيادي إلى أن أول من أدخل كتاب المدونة إلى المغرب الأقصى هو: دراس بن اسماعيل الفاسي.

ونبه الكاتب في آخر المقال على أن المدونة طبعت عدة طبعات وأول طبعة لها ظهرت عام 1323هـ، عن نسخة عتيقة مكتوبة على رق الغزال، يزيد تاريخها عن ثمانمائة سنة، وجد في حواشيها خطوط لكثير من أئمة المذهب المالكي كالقاضي عياض وأضرابه.

وفي مقال آخر سيعود الجيادي للحديث عن حقيقة الخلاف المذهبي في مدونة الإمام مالك وأهم أسبابه. والشاهد فيه أن مجلة دعوة الحق أولت عناية كبيرة لأمّهات مصادر المالكية وعلى رأسها المدونة.

• التعريف بالرسالة لابن أبي زيد القيرواني

في المقال الخامس من سلسلة مقالات: "نظرات في تاريخ المذهب المالكي"، بعنوان: "من أوائل المصنفات في المذهب المالكي: الرسالة لابن أبي زيد القيرواني" تطرق المرحوم الجيادي للتعريف بكتاب الرسالة بوصفها مؤلفا مصدريا في الفقه على مذهب مالك بن أنس، حيث قال في بداية المقال: "يعتبر كتاب «الرسالة» من أهم ما ألف في المذهب المالكي، ومن حيث الأهمية والتداول، الكتاب الثالث بعد الموطأ والمدونة، وقد رزق من القبول والانتشار وعناية الناس به، وإقبالهم عليه، وتأثرهم به، ما لم يحظ به أي مؤلف غيره، ولا يضاهيه في هذه المنزلة والخطوة، إلا الموطأ والمدونة".

هكذا بين المرحوم الجيادي أهمية الرسالة وموقعها بين مؤلفات المالكية، كما أحصى في المقال أكثر من خمسين من الأعلام الذين شرحوها أو علقوا عليها، وانتهى بالقول: "فهذه الشروح وغيرها كثير تدلنا على ما كان للناس من اهتمام بالرسالة وإقبالهم عليها تعلما وتعلما وشرحا وتعليقا، وتعدى هذا الاهتمام علماء الإسلام إلى غيرهم، إذ ترجمت الرسالة إلى اللغة الفرنسية والإنجليزية..."¹²

أسس متينة بمنهج استدلالي فريد، وكان للمجلة فضل نشر هذه الأصول والقواعد حيث خصص المرحوم الجيادي مقاله السادس من سلسلته: نظرات في تاريخ المذهب المالكي، لأصول المذهب المالكي وفرق فيها بين الأصول والقواعد¹⁵. قال المرحوم الجيادي في هذا السياق "وقبل أن نعدد الأصول التي قام عليها المذهب المالكي، نشير أولاً إلى الفرق بين الأصول والقواعد، ونعطي نظرة عابرة عن القاعدة الفقهية من حيث تحديدها وأقسامها، والمراحل التي مرت بها، فالأصول هي الأدلة الإجمالية أو المصادر التي تستقي منها أحكام الفروع الجزئية كالكتاب والسنة وغيرهما من مصادر الاستنباط والاستدلال الراجعة إليهما.

أما القواعد، فهي تحصل عن الاجتهاد في أحكام الفروع من طرف المجتهدين وأهل التخرير والاستنباط، باستقراءهم الأشباه والنظائر، وتبينهم العلة الجامعة بين كل فئة منها مقيمين من هذه العلة الجامعة، أو مناط الحكم قاعدة في شكل نص كلي يتضمن حكماً تشريعياً عاماً يطبق على كل المسائل والجزئيات المدرجة تحته، والمتضمنة لنفس المناط"¹⁶.

وبعد تمييزه بين الأصول والقواعد، وتقريره أن جميع المذاهب الفقهية أسهمت بنصيبها في تعديد القواعد الفقهية، أورد طائفة من الأعلام المالكية المؤلفين في القواعد، وساق الخلاف بين المالكية في تعداد أصول المذهب، حيث قال: "ونشير في البداية إلى أن المالكية قد اختلفوا في عدد هذه الأصول، فالحافظ أبو بكر ابن العربي عدّها عشرة... والقاضي عياض لم يذكر منها إلا أربعة: الكتاب والسنة وعمل أهل المدينة والقياس، ولما قسم القرافي الأدلة، قال إنها تسعة عشر بالاستقراء... أما الفقيه أبو محمد صالح فقد عدّها ستة عشر أصلاً، وهي نص الكتاب وظاهره وهو العموم، ودليله وهو مفهوم المخالفة، ومفهومه (أي مفهوم الموافقة) والتنبيه على العلة، ومثل هذه الخمسة من السنة، ثم الإجماع، وعمل أهل المدينة، وقول الصحابي، والاستحسان، والحكم بسد الذرائع مع اختلاف قوله في مراعاة الخلاف، فمرة يراعيه، ومرة لا يراعيه، والشاطبي رد الأدلة الشرعية إلى ضربين دون أن يفصلها، إحداها ما يرجع إلى النقل، والثاني ما يرجع إلى الرأي..."¹⁷

15 - عمر الجيادي، مجلة دعوة الحق، العدد 232 صفر 1404هـ / نونبر 1983م.

16 - نفسه.

17 - نفسه.

وفي السياق نفسه نشر الأستاذ عبد السلام فيغو مقالا في مجلة دعوة الحق، عدد 348، مؤصلا لعمل أهل المدينة بعنوان: "عمل أهل المدينة كأصل من أصول التشريع الإسلامي عند المالكية"، وبعد التعريف بهالك وذكر انفراده بأصول خاصة به، ومنها عمل أهل المدينة تطرق لتمييز القاضي عياض بين ضريين منه: أحدهما: ما نقل شرعا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل، كالصاع، والمد، وأنه صلى الله عليه وسلم كان يأخذ منهم بذلك صدقاتهم وفطرتهم، وكالأذان والإقامة، وترك الجهر بسم الله الرحمن الرحيم في الصلاة، والأوقاف والأحباس، فنقلهم لهذه الأمور من قوله وفعله كنقله موضع قبره ومسجده ومنبره ومدينته، وغير ذلك مما علم ضرورة من أحواله وسيرته وصفة صلاته من عدد ركعاتها وسجاداتها وأشباه ذلك، أو نقل إقراره عليه الصلاة والسلام - لما شاهده منهم... إلخ.

والضرب الثاني: إجماعهم على عمل من طريق الاجتهاد والاستدلال، فهذا النوع اختلف فيه أصحابنا، فذهب معظمهم إلى أنه ليس بحجة ولا فيه ترجيح.

وبهذا التمييز خلص الأستاذ فيغو إلى أن الذين عاتبوا المالكية على هذا الأصل لم يحرروا محل النزاع، لأنهم لم يميزوا بين ضربي عمل أهل المدينة، فالنوع الراجح على أخبار الآحاد هو الذي طريقه الرواية المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا مطابق لقواعد الأصول المتفق عليها بين أهل المذاهب.

- تأصيل توسع الإمام مالك في مراعاة المصلحة العامة

من الأصول والقواعد التي بنى عليها الإمام مالك فقهه مراعاة المصلحة العامة، مما جعله يبرع في الجواب عن كثير من النوازل التي لم يرد فيها نص، بردها إلى أصولها المصلحية، وليبيان هذا المنحى المقاصدي السديد في منهج مالك نشرت دعوة الحق مقالا بعنوان "المصلحة العامة في مذهب مالك بن أنس" تطرق فيه صاحبه لمسألة المصلحة العامة في المذهب المالكي وموقف غيره منها وعمل أصحابه بها، مما كشف الكثير من اللبس عن مسلك مالك في مراعاة المصالح المنضبطة بالأصول الشرعية.

6. الترجمة لأعلام المالكية:

إن المذاهب الفقهية الكبرى اتضحت معالمها، وترسخت أحكامها بين الناس بفضل أعلامها، فلا يمكن الحديث عن مدرسة فقهية دون ذكر أبرز أعلامها، وهذا بالفعل ما ينطبق على المذهب

وبعضاً من أحكام قضائهم ذات الصلة، ومذيلاً حديثه بطرف من العمل السوسي في الميدان القضائي²¹.

ويضاف إلى هذا مقالات متنوعة عن نوازل القضاء المالكي المغربي، وتراجم لبعض القضاة المالكية ومؤلفاتهم في الباب²².

• علم التوثيق.

إن من لوازم علم القضاء، كما هو معلوم، علم التوثيق إذ فيه يبحث كيفية تحرير الوثائق المعدة للإثبات القضائي، وقد كان للإمام مالك فضل السبق في الإعلان بشكل واضح عن شروط الموثق، حيث قال رحمه الله: "لا يكتب الوثيقة بين الناس، إلا عارف بها، عدل في نفسه، مأمون عليها لقوله تعالى: ﴿وليكتب بينكم كاتب بالعدل﴾".

منذ ذلك الإعلان وأئمة المالكية يجتهدون في تطوير هذا العلم وتقعيده حتى شهد أوجه في الأندلس والمغرب على يد أعلام أفذاذ، وفي هذا السياق أيضاً لم تغفل مجلة دعوة الحق التعريف بهؤلاء وبعلم التوثيق كما برع فيه السادة المالكية، ففي مقال بعنوان: "علم التوثيق في المغرب والأندلس"²³ تطرق فيه كاتبه إلى مظاهر تطور فن التوثيق في الأندلس والمغرب عبر ذكر أبرز أعلامه ومؤلفاتهم وبعض المسائل ذات العلاقة بالكتب والإشهاد.

• علم الفتوى

إضافة إلى مقالات متنوعة نشرت في مجلة دعوة الحق على مراحل تعرف بعلم الفتوى في المذهب المالكي، فإن المجلة خصصت عدداً خاصاً يتضمن مقالات علمية تعنى بموضوع أصول الفتوى بالمغرب الأقصى، شارك بها علماء عاملون، وأساتذة باحثون²⁴.

وقد بينت هذه المقالات أن علم الفتوى مؤسس في الفقه المالكي على أسس متينة، وأنه خاص بأهل الاجتهاد المستوفين للشروط العلمية والأخلاقية، وأن أهل الأندلس والمغرب جرى عندهم العمل بالمشهور والراجح من المذهب ولا يعدلون عنه إلا لمصلحة راجحة، وأن منهجهم في ذلك التوسط والتحري وتنزيل الأحكام الشرعية وفق مقاصدها الكلية.

21 - عمر الجيدي، العدد 239 ذو القعدة 1404 هـ / غشت 1984 م.

22 - ينظر أيضاً مقال "فتاوى النوازل في القضاء المالكي المغربي" دعوة الحق، العدد 205.

23 - ينظر مقال: "علم التوثيق في المغرب والأندلس"، دعوة الحق، العدد: 183.

24 - ينظر العدد 411 مجلة دعوة الحق.

مسيرة الفكر الصوفي في مجلة دعوة الحق المغربية جرد وقراءة في نماذج

د. خالد سقاط

جامعة سيدي محمد بن عبد الله، فاس.

شيد أسلافنا المسلمون صروحا حضارية شامخة، نعتز بها، ونفتخر بمنجزها، لأنها تجمع بين ما هو مادي ملموس، وبين ما هو فكري محسوس، صروح أسهمت جلها في بناء نظريات إنسانية، عملت الأجيال على اعتمادها وتطويرها، لتجاوزها، خدمة لروح العصر، ومسايرة لفقه التطور والواقع. ومن أجل إثبات الانبهار بمنجز السلف وإظهار عدم التنكر له، والاعتراف بجهوده، تجتهد المؤسسات الحكومية والأكاديمية وغيرها، على توجيه وتشجيع أطرها ومفكرها للكتابة في مجالاتها ومجالاتها.

ومن بين الأقلام الأفاضل التي صدحت منذ نشأتها وتأسيسها، نذكر على قمتها مجلة دعوة الحق المغربية، المجلة الجامعة المتنوعة، التي أنشأها ورعاها المغفور له محمد الخامس طيب الله ثراه. وجعلها في خدمة المصالح الوطنية والعربية والإسلامية، في جميع المجالات وبخاصة ما يتعلق بالدين والدولة والفكر والعلم والثقافة. وسار على نهجه الحميد خلفه الشريف حفظهم الله إلى يومنا. فكانت لسان حال العلم والعلماء، والمفكرين والأدباء، والفلاسفة والشعراء، والفكر والثقافة العربية والإسلامية، في المغرب الأقصى، دينيا وسياسيا وحقوقيا وتراثيا وأديبا وتاريخيا وتنمويا وعمرانيا وفنيا.

إن المكانة العلمية والفكرية المرموقة التي تتبوأها المجلة اليوم، والتي نمثل لها بأبسط صورة، في كونها أضحت مرجعا ضروريا في جل الأبحاث الرصينة، بالمغرب وخارجه. أقول، لم تأت هذه المرتبة من فراغ، وإنما نتيجة اجتهاد جاد ومتواصل، سواء من طرف المسؤولين عليها، أو من طرف

لهم من ارتباط وثيق بالثواب الدينية الأصيلة، وقيم الوسطية والاعتدال، وما يدعون إليه من قيم ومبادئ، تساعد الأجيال على رفض الفكر الظلامي والشذوذ والتطرف.

إنه لسان حال الأقلام في مقالات مجلة دعوة الحق، الراعية الرسمية الأولى للثواب الوطنية، عقديا وفقهيا وسلوكيا. حيث كانت كلها محتفلة بفكر متنور، يبحث عن أهم الطرق وأقومها لدعم وتحقيق الأمن والاطمئنان والاستقرار الروحي، والسعادة الإنسانية بصفة عامة، والسلام بصفة خاصة.

وخير ما يمكن الاستشهاد به في هذا المجال ما خصصته المجلة من أعداد خاصة للقضايا الصوفية، وفكر أقطابها وأربابها، وكتبهم وكتاباتهم في السلوك. والمناقب، وأدهم شعره ونثره.

وكذلك المقالات العديدة في المجال المتفرقة في العديد من أعداد المجلة.

كما كانت الأعداد الخاصة بالمولد النبوي الشريف حافلة بمقالات هامة لها علاقة وطيدة بالبعد الصوفي في أجلى تجلياته، على اعتبار أن جل الزوايا الصوفية عبر ربوع المغرب تقيم احتفالات دينية، على شكل مواسم علمية وفكرية في المناسبة.

لقد تعددت مقاربة كتاب المقالات في المجلة للفكر الصوفي، من شرعية إلى أصولية مقاصدية، إلى لغوية إلى اجتماعية إلى أدبية ومنقبية، وإلى علاقة الصوفي بالبيئة والمجال الحضاري. وكل مرة يتحدد فيها التصوف من خلال دوره من كل مقاربة إلى أخرى. ولكن المشترك هو الإشارة والإشادة بأن التصوف في المغرب مع الامتداد عبر التاريخ، كان أخذ بسرعة بعده المجتمعي والاجتماعي، ولم يكن فقط ظواهر فردية معزولة، تتمثل في الرباط والزوايا، بل هو حضور ومشاركة وتفاعل مع كل المكونات المحيطة به. حتى لا يرتبط البعد الديني للتصوف بأزمة الأزمات، كما يحلو للبعض أن ينعتة.

واليوم إذ تعيش المجلة ذكراها السنوية الستين من تشييدها، أود في هذا المقال أن أعرض بعض الجوانب الدقيقة من اهتمام ثلة من الذين شاركوا بالكتابة في صفحاتها العلمية المفيدة، أقصد بالذكر جردا لمن أسهموا في نشر التراث الصوفي، تاريخه وفكره وأدبه ومناقب أربابه، ومريديهم، وتقديم نظرة نقدية موجزة عن مسيرة ذلك.

لقد كان التصوف من أهم الروافد الفكرية، والمحاور الأصيلة التي توهجت بها شعلة مجلة "دعوة الحق"، تماشيا مع المسار العام الذي خطته هذه المجلة الرائدة العلمية لكل مقالات أعدادها،

129	عمر ابن الفارض الرائد الصوفي	محمد كمال شبانة
143	أسباب مصرع ابن الخطيب بين السياسة والتصوف	محمد بن عبد المالك الكتاني
147	أبو محمد صالح دفين أسفي	دعوة الحق
148	التصوف الإسلامي ودور الزهد في نشأته	محمد عاطف العراقي
148	نظرات حول المذاهب والمعتقدات: نشأة التصوف	محمد أحمد هنطش
154	التصوف وبناء الشخصية الخلقية في الإسلام	عثمان بن خضراء
202	الزاوية القادرية ودورها الديني والاجتماعي	دعوة الحق
206	الشيخ عبد القادر الجيلاني	عبد القادر القادري
207	من الأدب الصوفي المغربي	الحاج أحمد معينينو
214	أنموذج للتصوف السني	عبد العزيز بن عبد الله
232	في الشعر الصوفي: لا يأس مع الحياة	محمد بن محمد العلمي
233	من الشعر الصوفي ومن يغفر الذنوب	محمد بن محمد العلمي
243	الزاوية المغربية كمتدى للفكر والإشعاع العلمي (1)	عبد العزيز بن عبد الله
244	الزاوية المغربية كمتدى للفكر والإشعاع العلمي (2)	عبد العزيز بن عبد الله
245	الزاوية المغربية كمتدى للفكر والإشعاع العلمي (3)	عبد العزيز بن عبد الله
249	في رحاب الزاوية	عبد القادر العافية
252	من شخصيات الزاوية العياشية أبو سالم العياشي	عبد الله بنصر العلوي

262	حول كتاب المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد. لأبي عبد الله محمد بن عبد الكريم التميمي الفاسي (2)	بنعلي محمد بوزيان
262	بهجة الناظرين وأنس الحاضرين لابن العظيم الزموري	محمد بنشريف
264	الزاوية المغربية في العصر السعدي	عبد الجواد السقاط
270	دور الطرق الصوفية في صحوة المسلمين بالاتحاد السوفياتي	عبد القادر القادري
271	من أعلام التصوف المغربي / محمد بن سليمان الجزولي	حسن جلاب
285	إطالة على التصوف المغربي، تاريخه (2)	محمد علي بن صديق
287	جلال الدين الرومي، أحد أساطين التصوف الإسلامي في بلاد فارس (1)	محمد غانم
289	إطالة على التصوف المغربي، تاريخه (3)	محمد علي بن صديق
293	جلال الدين الرومي، أحد أساطين التصوف الإسلامي في بلاد فارس (2)	محمد غانم
294	نظم الدرر واللاي في ترجمة أبي شعيب الدكالي	محمد عز الدين المعيار الإدريسي
297	حصن التوحيد لأبي الفتوح أحمد بن محمد الغزالي (520هـ) أخو أبو حامد	محمد بن عبد العزيز الدباغ
304	البعد الصوفي في حياة ابن بطوطة من خلال رحلته	عبد السلام شقور
313	من أعلام الأدب الصوفي بالمغرب: عبد الرحمان بن محمد بن عبد الهادي السجلماسي. شاعر المحبة المحمدية. (ت1333هـ / 1914م)	عبد الوهاب الفيلاي

415	دور المغرب الأقصى في نشر التصوف السني بإفريقيا جنوب الصحراء من خلال المخطوطات السودانية	لحسن تاوشيخت
415	التصوف السني المغربي وامتداده الإفريقي من خلال كتاب "فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور"	وديع أكونين
415	الطريقة المختارية الكتبية بغرب إفريقيا خلال القرنين 18 و19م	محمد نعيم والسعدية أوتبعزيت
415	قضايا صوفية بالأندلس من خلال النوازل	مصطفى الصمدي
415	البعد التربوي الصوفي عند الإمام أبي إسحاق الشاطبي	إلياس بناني
415	مفهوم الولاية عند ابن عربي	لطيفة المسكيني
415	المعجم الصوفي عند المغاربة: "معراج التشوف إلى حقائق التصوف" لأحمد بن عجيبة (ت1224هـ) نموذجاً	نور الدين ناس الفقيه
415	متن الحكم العطائية دراسة موضوعية	نور الدين الشرقاني
415	النزعة الإشارية من خلال مخطوط: "فتح الملك الوهاب في ما استشكله بعض الأصحاب من السنة والكتاب"	حسين عاصم

أما العددان الخاصان بالتصوف، فهما العدد 254 الصادر في ربيع الثاني - جمادى 1406هـ /يناير - فبراير 1986م. والعدد 415 الصادر في السنة التاسعة والخمسون - ربيع الثاني 1437هـ /فبراير 2016م.

العدد 254 احتفاء بالطريقة التيجانية التي تعتبر منطلقاً صوفياً مغربياً، استطاع أن يتجذر في إفريقيا وأن يستقطب مريدين من شتى الدول.

والعدد 415 جاء مخصصاً للتعريف بالتصوف المغربي وامتداده الإفريقي.

وتضمن العدد كلمة وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية آنذاك، الدكتور المرحوم عبد الكبير العلوي المدغري، الذي رحب بالوفود الحاضرة في الندوة، ونوه بالدور الديني للمغرب في إحياء التراث، وتأسيس ونشر المبادئ التيجانية. وفي إشارة للصوفية يقول: "الصوفية أيها السادة ليست طرقا للانزواء في الزوايا، وإنما هي طرق لتزويد الإنسان بطاقة الإيمان، وتوجيهه للعمل النافع وللصالح والإصلاح.

وسجل العدد نفسه قصيدة شعرية تحتفي بالمناسبة التيجانية للشاعر محمد بن محمد العلمي، الذي قال شعرا في مناقب الشيخ التيجاني. وأشاد بدور الملك المغفور له الحسن الثاني في إرساء دعائم القيم البناءة للفكر الصوفي، والاحتفاء بأهله وتكريمهم:

ألف شكر لصاحب الصولجان في احتفاء بأحمد التيجاني
"حسن" للمكارم الغرسبا ق، شغوف بنهضة الأوطان

كما ركزت القصيدة على الأهداف الروحية للتصوف:

إن سر التصوف الحب في الـ ه و صون الأساس للبيان
وصلاح الأحوال أفضل ما في حلقات التوحيد يا خلاني

أما العدد 415 فقد خصص بالكامل للتصوف المغربي، وخاصة في صورة امتداده الإفريقي، حيث تطرقت جل مقالاته إما لجوانب من تاريخ انتشار التصوف الشاذلي بإفريقيا جنوب الصحراء، أو لدور المغرب الأقصى في نشر التصوف السني بإفريقيا جنوب الصحراء، أو للتصوف السني المغربي وامتداده الإفريقي من خلال كتاب معين، أو لطريقة صوفية كالطريقة المختارية الكنتية بغرب إفريقيا خلال القرنين 18 و19م.

لقد تمحورت جل مقالات المجلة وهي عديدة، حول توطن الزهد والتصوف السني بالمغرب، بعد الامتداد الإسلامي في كل بقاعه، لأنه وجد الأرضية الفكرية والمعنوية خصبة، وأهله على فطرة واعتدال، مما جعل التصوف الفلسفي المتطرف لا يعرف انتشارا جليا، وتوطيدا بينا، في بيئة خربت العقيدة الأشعرية، وفقه مالك، وبعدها طريقة الجنيد السالك.

إن من خصوصيات التصوف في المجتمع المغربي كما تذكر جل المقالات في الأعداد، الابتعاد عن التفلسف والتعقيد في كل اعتقاد واتباع منهج خاص في التربية والسلوك، من مقوماته الزهد

وفروا لها كل توقير واحترام، وأضفوا عليها كل مظاهر الإنعام والمساعدة على القيام بالمهام المتكاملة مع الرسالة الإسلامية الخالدة، والتي تبلورت وما تزال في اهتمام أرباب الزوايا الصوفية بالتوعية والتربية، وتقويم السلوك الفردي والجماعي، المعتمد على التعاليم والمثل الإسلامية السمحة وأخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم، كما أن أذكاهم لا تخرج عن ترديد الآيات القرآنية والاستغفار والصلاة على خير الورى، مع اعتبار المستويات العلمية والجنسية المختلفة للمريدين، وكلما تطورت الأحداث والوقائع الداخلية والخارجية، ترتقي خطابات الزوايا الصوفية بالمغرب إلى المستوى المطلوب، وتتجدد لمحاربة البدع وكل مظاهر الانحراف والانحلال والتعدي، وكذلك التصدي للدخيل والهجين، والمتعسف من الأفكار والاعتقاد، دفاعاً عن حرمة دار الإسلام في الوطن، ومن أجل تدعيم وحدة المغرب الثقافية والمذهبية التي حافظت على لحمه عناصر المجتمع المغربي، وجمعت شتاته حول قيمه ومثله وحول قياداته السياسية والدينية.

كما تطرقت بعض الكتابات بالمجلة إلى كتب المناقب لرجال الصوفية، وهي أخبار موثقة لأهمية الصحبة للمريدين والسالكين لشيخو الزوايا، وأهمية الحديث عن تجاربهم التربوية في التأطير والتوجيه والإرشاد، وهي تدابير مشتركة في عمومها ونهجها من طرف معظم شيخو الطرق الصوفية. وأن كتب المناقب الصوفية من تأليف مريد أديب في الغالب، تعنى بجمع وتدوين سير وأخبار أقطاب وشيوخ التصوف، باعتبارهم النماذج والقدوة التي يجب أن تتبع ويهتدى بهديهم، ما داموا ظاهرين على الحق، والله اصطفاهم لإحياء شريعته ونشر سنة النموذج الكامل المكمل، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

وكتب المناقب في عمومها على شكل عقد عملي مبرم، بين شيخ صوفي حي أو ميت، ومريد طالب مصدق، يحكي عنه ويوثق أحواله ومقاماته. ويكاد هذا الجنس الأدبي المكتوب أن ينحصر في المجال الصوفي، ومع أربابه المغاربة خاصة، لكثرة ما ألف فيه، للتمييز بين والعميق لهذا الأدب الرفيع والشريف إلى جانب كتب التراجم والسير والوفيات والعبر

وتطرقت مقالات بالمجلة إلى اعتماد التصوف المغربي على استحضار فقه الواقع، الذي يفرض تجديد المناهج السلوكية التربوية وتطويرها، بعيداً عن العرفانية الفلسفية، لتنسجم مع التغيرات والمستجدات، وهو ما يسهم في استثمار أدواره ووظائفه عبر العصور، وهو ما جعل الزوايا منذ زمان تنتقل بسرعة من العمل الديني والتربوي والجهادي، إلى العمل في إطار مؤسسة علمية واجتماعية

ولتحقيق ذلك حاول شيوخ المتصوفة صياغة تربية بيئية، من خلال توجيه سلوك المريدين لاتباع القيم الإسلامية في مجال المحافظة على البيئة والعناية بها. إيماناً منهم وبقيناً أنها ضرورية ومتكاملة وتخدم الفرد والمجتمع وكل الكائنات الحية والجمادة التي سخرها الله من أجل تحقيق الاستخلاف من دون هلاك ولا استهلاك.

إن التربية والتكوين والمطالبة بالاعتدال في كل الميادين هي أساس التصوف، ومنها التربية على احترام المكونات البيئية، التي استمد المتصوفة كل مقوماتها بالضرورة من الإسلام قرآناً وحديثاً وسنة، حيث اعتمدوا من خلالها على إبراز مظاهر الجمال والجلال، وبخاصة جمال صنعة الله في الطبيعة من روعة وإعجاز.

إن الفساد البيئي نهي الله عنه في البر والبحر، والآيات كثيرة في ذلك، والمتصوفة عموماً يراهنون ويركزون على إصلاح الفرد داخل مجتمعه وفي مختلف علاقاته مع ما يحيط به، في البر والبحر ومن فيهما، وهو ما يحقق غاية الوجود والخلافة في الأرض على صورة مرضية، فيعود النفع على كل المكونات الضرورية لدورة الحياة، التي لا ينفك مكون منها عن الآخر إلا بالظلم أو الهلاك. لقد سخر الله لخليفته في الأرض كل ما في الكون، من أرض وبحار وأنهار وأنعام وطيور ورياح وأمطار وأشجار، ومكونات نعلمها وأخرى لا نعلمها وقد لا نتخيلها.

والحفاظ على البيئة هو إعلاء لكلمة الله، وقد اتبعت الأحاديث النبوية العديدة القرآن الكريم في التشديد على الوقاية والحماية، التي كلما ارتبطت بالمقاصد الشرعية الخمس من حفظ للدين والنفس والعقل والمال والنسل، كانت درجة الإلزام والأمر أكبر. وبالأكد إن حفظ وسلامة ووقاية البيئة من الفساد والاستنزاف، من أهم ما يساعد على ذلك ويحقق الغرض، على أساس تعاليم الإسلام الذي بوأ البشر القوامه دون غيره من الخلق، لكي يستحق أن يستخلفه الله استخلاف وصاية وعناية لا استخلاف وصاية تلف وإتلاف واستنزاف وأنانية وتدمير للأمم التي تحيي وتعيش بجوار الإنسان وتحت إمرته، قال تعالى في سورة الأنعام: ﴿وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون﴾¹.

إن التربية الصوفية إجمالاً هدفها كما ورد في مقال، هو البحث الدائم للمسلم عن مقر آمن للاستقرار الروحي والنفسي، وبالطبع مادام يعيش في مجتمع أهل بالمخلوقات، لا بد أن يتعايش معها

1 - سورة الأنعام، آية 38.

والطبيعة ثاني رمز قوي وظف في الشعر الصوفي، بعد رمز المرأة ورمز الخمر، ولكل دلالة الروحية بحسب المقام والحال. فكانت الطبيعة إشارات مكثفة ورموزا محملة تجاوزت الواقع الحسي إلى اللا محسوس، لذلك أفاضوا القول في رمزيتها، لعجز اللغة العادية عن استيعاب كل القصد والغرض، وبالتالي لا يستوعبها في الغالب الفهم العادي الذي لا يأخذ بالتجربة والذوق والرياضة والمجاهدة.

إن كل ما يراه ويصادفه الصوفي هو من سخاء الله ومعجزته في تطويع وتسخير الطبيعة للإنسان، فهو يشعر بها تشعر به، وتأنس به ويأنس بها، لذلك يراها تعول عليه لتعويله عليها في رحلته إلى الله، ومن سلك طريقها سلكته إلى من تسبح له كل الكائنات من دون سماعها، فكيف يهلك الإنسان ويقضي على وسيلة سفره إلى الله؟ ولا وجود له بدونها، وهي يمكن أن توجد بدونه، لأن الله تكفل ببقائها لبقائه. هكذا يدعو المتصوفة إلى احترام البيئة واعتبارها رمزا للمحبة الإلهية، المهيمنة على قلب كل مريد، سالك وواصل. وهي دعوة متقدمة وحضارية للتربية على احترام البيئة، والحفاظ عليها، عن طريق الاعتبار والتفكر، والتمعن في خلق السماوات والأرض ومن فيهن.

إن كل ما سبق قوله هو بعض مما تسعى إلى بيانه جاهدة ومجتهدة أقلام مجلة دعوة الحق المغربية، العلمية، الوطنية الغيورة على القيم السمحة والسلوك السليم، من خلال المقالات الفكرية، العلمية والأدبية، المنشورة في صفحاتها، للبحث في الحقيقة الجوهرية للقضايا الهامة، ومن بينها في موضوعنا التصوف. وهو عمل بالضرورة يسعى لبعث ونشر قيم ومظاهر الاعتدال والوسطية، في الحياة العامة والخاصة، وهو ترسيخ لقيم الحب والجمال، والسمو بالإنسان فكريا وسلوكيا وحضاريا، من أجل التكامل والانسجام، والتناغم مع كل مظاهر الكون والطبيعة الجامدة والمتحركة، الصامتة والمعبرة، من دون عنف وإقصاء وإفراط وتفريط. إنه تصوف الواقع باعتماد الواقعية في التصوف، المعتمد على الإحسان، كما جاء في القرآن والسنة.

حضور الفكر والثقافة الإسلامية في مقالات مجلة دعوة الحق

ذ. سعيد شبار

رئيس المجلس العلمي ببني ملال
أستاذ التعليم العالي بكلية الآداب ببني ملال

لم يسبق لي أن تصفحت أعدادا متتالية من مجلة دعوة الحق، حيث كنت، كغيري، أرجع إلى العدد الذي أحتاحه من أجل مقال أو دراسة معينة، لكن بعدما كلفت بالنظر فيما رصد لمعالجة القضايا الفكرية والثقافية على امتداد حوالي مائتي عدد، كانت مفاجأتي كبيرة جدا، وذلك من جهتين:

أولا: من جهة الكتاب الذين كانوا يكتبون في الأعداد الأولى خصوصا، وهم علماء وأدباء ومفكرون وشعراء ولغويون وسياسيون وتربويون كبار، من طينة: علال الفاسي، والمختار السوسي، وعبد الله كنون، ومحمد الطنجي، ومحمد بن تاويت، والرحالي الفاروقي، والتهامي الوزاني، وعبد القادر القادري... وغيرهم.

ولا يخفى أن هذه الأسماء كانت رموزا لنهضة المغرب التحررية، الفكرية والدينية، والوطنية إجمالا. وأن تجتمع أسماؤهم ومقالاتهم في أعداد بعينها، هو أمر يضيفي على تلك الأعداد من الأهمية والحضور في واجهات التدافع المختلفة، ما يجعلها وثائق علمية نادرة تستحق الدراسة والتتبع، خصوصا من الأجيال المتأخرة التي يكاد ينقطع سندها عن هذا الجيل المؤسس لنهضة المغرب الحديث.

ثانيا: من جهة الموضوعات الدينية والفكرية والأدبية... وغيرها، بما فيها من العمق والرصانة، والاستيعاب والشمول، والتفاعل الإيجابي مع مختلف القضايا التي كانت مطروحة، بروح مرنة منفتحة ومعاصرة لزمانها، وتعرف جيدا كيف تستدعي ماضيها لحاضرها مواكبة وتأطيرا. فكان

التي رسخوها في مرحلة تطور وتحول حاسمة في المغرب، والتي تجمع بين مرجعية الدين وبين واقع العمل والتنزيل، مع فهم راهن متجدد ومتحرر من قيود الفهم الحرفي الظاهري، ومن التجريد والصورية التي هيمنت على الخطابات السلفية السابقة، فشكّلوا بحق سلفاً مستقلاً هو ما عرف بـ "السلفية الوطنية" أو "المواطنة"، لارتباطها وانخراطها في قضايا وهموم الوطن تدبيراً وإصلاحاً.

نعم، أخطأت كثير من التنظيمات والحركات سواء كانت دينية أو سياسية أو فكرية ثقافية، حينما قفزت عن سلفها القريب الحي والملهم والجامع والموحد، لتجعل سندها ومرجعها في "سلفيات" بعيدة، إذا جمع بينها الشعار والنظر، فرق بينها الواقع والعمل. والانفتاح على التجارب والاستلهام منها شيء، أما اتخاذها مرجعاً ومنطلقاً فشيء آخر مختلف.

من هنا أهمية هذه الحلقة في الفكر المغربي الحديث، التي تصل حاضر المغرب بماضيه، حيث عرف ماضي المغرب تحديات كثيرة مماثلة عقدية وفقهية وسياسية، تمحض من خلالها إلى اختياراته المذهبية المعروفة. وحيث يمكن أن تصل ماضي وحاضر المغرب بمستقبله، إذا جعلت سنداً ومرتكزاً في بناء الفكر والوعي المغربي المعاصر، وهذا ما يوجب في رأبي التعجيل بإصدار هذه المتون العلمية خاصة المتعلقة بالثوابت المغربية.

الحضور الفكري والثقافي في المجلة:

ما سأقوله عن هذا الحضور هو مجرد نماذج تقريبية، ليس فيها استقراء ولا إحصاء كامل، وإذا كان بعض الزملاء قد رصدوا الحضور العقدي، والفقهية، والأصولية، والتفسيرية، والنبوي سيرة وحديثاً، والتربوي، والاجتماعي، والسياسي... إلخ. فسأحاول رصد جوانب من الحضور الفكري والثقافي في المجلة، وذلك من خلال إحدى عشرة مسألة.

1 - المسألة الثقافية:

حيث كان لمفهوم الثقافة حضور كبير في كثير من المقالات وبمنظور أصيل ومتجدد للثقافة، باعتبارها "جامعة للمتناقضات"، أي ما يبدو متناقضاً وهو في الأصل ليس كذلك. مثل مسألة (العقل والنقل)، (والذات والآخر)، (والقديم والحديث) و(السلفية والصوفية)... إلخ.

وباعتبار دورها الأساسي في "التنوير العام" لأنها جامعة ومستوعبة للخصوصيات المعبرة عن الهوية والذات: دينا ولغة وفكر وعادات وأدب وفن... إلخ، فهي هوية الجماعة ككل وليس هوية أفراد.

- الرد على شبهة كون الإسلام يعوق التطور والتحضر، ببيان أوجه مناصرة هذا الدين للعلم والعقل والمصالح، وكل نافع للبشرية.

5 - محاوره الديانات المختلفة:

والبحث فيها عن القواسم المشتركة كما فعلت مقالات خصصت لدراسة "الوصايا العشر" في الديانات السماوية الثلاث، وأخرى تناولت تاريخ الأديان عموماً ببيان تطورها ومجالات الاتفاق والاختلاف بينها.

6 - الاهتمام بالمسلمين، وبقضاياهم في العالم. حيث رصدت مقالات تعريفية بأوضاع وأحوال المسلمين والتحديات الفكرية التي يواجهونها. تناول بعضها المسلمين في الصين، وفي الهند، وفي ماليزيا، وفي اليابان، وفي دول إفريقية مختلفة.

7 - المسألة الحضارية:

حيث تناولت عدة مقالات مفهوم الحضارة من منظور إسلامي، يجمع بين الأبعاد الفكرية والروحية والأبعاد المادية والعمرانية. وركز بعضها على كون الحضارة "كيفاً" وليست "كما" فحسب. في إشارة إلى نقد التعريفات التي تختزل الحضارة في أرقام ومنجزات مادية فقط. وعرفت مقالات أخرى بنماذج من حضارة المسلمين عبر التاريخ، وبحضارة الغرب الإسلامي في الأندلس والمغرب.

8 - التربية السلوكية أو التزكية والتصوف،

وذلك من خلال تناول مقالات لأعلام وكتب، مثل الشيخ زروق، والحكم العطائية.

9 - قراءات في كتب، فكرية وفلسفية، تنويعاً بها أو نقداً وتقويماً لها، حيث رصدت مقالات عدة لهذا الجانب، ونذكر من تلك الكتب على سبيل المثال:

✓ إسلام بلا مذاهب، لمصطفى الشكعة.

✓ نبضات فكر، لعبد الكريم غلاب.

✓ روضة الورد، للشيرازي.

✓ الفكر المعاصر في معركة التغريب، لأنور الجندي.

الفكر الإصلاحى فى كتابات دعوة الحق عبد الله كنون أنموذجا

ذ. عبد الوهاب الجابى
جامعة سيدى محمد بن عبد الله بفاس

إن الحديث عن الفكر الإصلاحى المغربى، بما يحمله من مركّزات وخصوصيات، وما يتميز به من سياقات تاريخية متفردة، ومرجعيات التعدد الثقافى، والتنوع الحضارى، والاشتراك الإنسانى، يقتضى ضرورة معالجة التجربة الإصلاحية المغربية، ومداولة سؤال النهضة فى كتابات روادها، ومتون رجالها، إن على مستوى الموضوع أو المنهج.

وقد اتسم الفكر فى المدرسة المغربية، بطرحه لسؤال الإصلاح وفق مقاربات تحليلية نقدية، استلهم فيها الموروث الثقافى، فى أصوله وقواعده ومكوناته، ثم تفاعل مع الخطاب الإصلاحى للمدرسة المشرقية، وانفتاحه، فى ذات الآن، على مكتسبات الحضارة الغربية، عبر تأصيل مفاهيم دالة على الرغبة فى الانعتاق من التخلف والفوضى، والانخراط، بالتالى، فى معارج التقدم، ومسالك النظام.

ولعل الباحث فى الدرس الإصلاحى، يكشف مدى تفعيل المدرسة المغربية لسلسلة من المراجعات التحديثية، قدّمت من خلالها أنموذجا نهضويا ارتكز بالأساس على المستويين البنىوى والذهنى، على مسلمات وثوابت الفكر العقدي الإسلامى على الطريقة الأشعرية، والمذهب المالكي، والتصوف السنى، فى نوع من التناغم والاعتدال، وفى انسجام تام مع السلطة السياسية تحت مظلة إمارة المؤمنين؛ مما يفسر انتقال الفكر المغربى من الحديث عن الإصلاح الجزئى، إلى مستوى الإصلاح الكلى الذى يتسم بالتجديد، والنزوع نحو التكامل الوظيفى بين العلوم، أى إعادة التفكير فى الهوية الحضارية المغربية، ومدى إسهامها فى مجرى الحضارة الإنسانية، ثقافيا ومعرفيا.

وقد ترتب على النظر فى قواعد الفلسفة الحضارية المغربية، ميلاد حركة فكرية تطلعت للإصلاح والمعرفة، تميزت بشخصيتها المستقلة، وموضوعاتها المتفردة، وبفكرها النقدي، وطرحها التجديدي، من مثل محمد بن العربى العلوى، وتقى الدين الهلالي، والمختار السوسى، وعبد الله

I - مشروع الإصلاحى ومنهجه الفكرى :

1 - مقارنة ببلوغرافية :

أ - السيرة الذاتية :

ولد عبد الله كنون فى الثلاثين من غشت عام 1326هـ، الموافق لشتنبر 1908م بمدينة فاس، وتوفى يوم الأحد فى السادس من ذى الحجة سنة 1409 للهجرة الموافق 9 يوليوز 1989م²، وهو فى الثالثة والثمانين من عمره، الحافل بالعطاء والإخلاص فى خدمة العروبة والإسلام والوطن.

وفى هذا الإطار يقول عنه الأستاذ يوسف الكتانى: "لقد كان صديقى وأستاذى عبد الله كنون من الأشخاص المعدودين الذين تركوا أثرا عميقا فى نفسى، وكان لهم الفضل فى إثراء حياتى وإغناء سيرتى. بفضل ما حباؤه الله من خصال ومزايا، وما جبل عليه من أخلاق وسجايا، جعلت حياته نموذجا حيا ومثالا رائعا للدور الأساسى، الذى يستطيع العلماء القيام به، فى سبيل إحقاق الحق وإزهاق الباطل، كما كانت سيرته طاقة جبارة من العزيمة والنشاط، والوفاء والشجاعة، والجرأة على الحق، وحب الخير للجميع، كل ذلك صادر عن روح شفافة ونفس أبية تتمثل فيها العاطفة الإنسانية، بأسمى معانيها وأدق خصائصها، ويتوج ذلك جميعا حبه للابتكار، والعمل والاجتهاد، والاستقلال فى الرأى، وحب الإصلاح والتجديد"³.

وقال عنه العلامة عبد الله بن العباس الجرارى: "وإجمالا فالأستاذ كنون من المثقفين المنتجين، ومن تفخر المعلمة المغربية بإنتاجهم العلمى، احتل فى المغرب والمشرق، مكانة الأديب المتفتح، والصحفى النشط، والشاعر الموهوب، تكويننا وتأثيرا وأداء وممارسة⁴. لذلك لم يتعامل مع هذه الفنون باعتبارها صنعة أدبية ولغوية، بل باعتبارها رسالة فكرية إصلاحية.

ب - أعماله العلمية والفكرية :

اشتغل بالمعهد العالى بتطوان، ثم بكلية أصول الدين، عين وزيرا للعدل سنة 1954م، ثم عاملا لمدينة طنجة بعد الاستقلال، عضو فى المجمع العربية⁵؛ أنجز عشرات التراجم لشخصيات

2 - راجع: عبد القادر الإدريسي: عبد الله كنون وموقعه فى الفكر السياسى الحديث، عدنان الخطيب، عبد الله كنون ونبوغه المبكر، ضمن، أبحاث وأعلام عبد الله كنون، إشراف فاطمة الجامعي الحبابي، مطبعة فضالة، المحمدية، المغرب.

3 - يوسف الكتانى: ربع قرن مع أستاذى وصديقى كنون، سلا، أبحاث وأعلام... إشراف فاطمة الجامعي الحبابي... مرجع سابق... ص 122.

4 - انظر: محمد الخطابي، عبد الله كنون حياة ثرية فى خدمة الفكر الإسلامى العربى، جريدة الشرق الأوسط، عدد 3892، ص 218.

5 - من مجمع اللغة العربية بالقاهرة، والمجمع العلمى العراقى، والمجمع التأسيسى لرابطة العالم الإسلامى بمكة، وأكاديمية المملكة المغربية. راجع: غيثة بلحاج: المرشد لتراجم الكتاب والأدباء. ص 81-82.

2 - منهجه الإصلاحي:

أ - الأصالة والتجديد:

تميز تناوله للموضوعات بالتنوع وبالتجديد، كما اتسم فكره، بالأصالة والسداد في الرأي وبعد النظر، استوعب الثقافة الإسلامية وأحاط بأصولها وهضمها وتمثلها، في حقولها المتعددة وفروعها المتنوعة، أدرك مضامينها، وفهم مقاصدها في بناء الإنسان المسلم.

وقد عمل على استثمار هذا الحصيلة من المعارف في تطوير الدعوة الإسلامية وحمل لواء التجديد والاعتدال والوسطية، والاستمسك بما علم عن السلف من دين وصلاح، مما يحقق العزة والكرامة والمجد في ظل تعاليم الإسلام ومنهجه المتكامل في الحياة.

ب - المقدمات العقلية:

وفي سياق الحديث عن منهجه التغييري، لابد من الإشارة إلى المقدمات العقلية التي جعلها شعارا تمسك به في باب التعليل والقول والمكتوب، وتقويم العلوم والمعارف، يقول: "ومن المبادئ التي قررتها أن كثيرا من علومنا ومعارفنا، يجب أن تقوم تقويميا غير التقويم الذي كان مقنعا لمن قبلنا، وكانت عندي حاسة العقلانية غالبية على كل الحواس، فما لم يقبله عقلي ما كنت اهتم به، بل كنت أبحث حتى أجد التعليل العقلي النظري للمسائل... فصارت العقلانية هي الشعار الذي أتمسك به عندما أكتب"⁹.

- الانفتاح المعرفي:

إضافة إلى تضلعه في العلوم الأصلية والمعارف الحديثة، وتبحره في حقول الثقافة الإسلامية، انفتح على المدرسة الغربية على مستوى المناهج، باعتبارها وسائل الاشتغال، وعلى مستوى تعلم اللغات من حيث الوظيفة، ثم على مستوى الدرس الترجمي في دراسة النص الأدبي المكتوب من قبل الآخر.

وفي أصالته التجديدية، وعقلانيته الصارمة، وانفتاحه المنهجي، لم يتردد في إعلان رفضه للتقليد والاتباع، إذ نجده يقول في حوارهِ الصحفي مع مندوب جريدة السياسة الكويتية: "وكنْتُ في كتاباتي الأولى مقلدا لما درست وقرأت، ثم رأيت أن هذا العمل إنما هو تكرار لما هو موجود، فصرت لا أكتب إلا ما لا أراه مكتوبا، وتركت التقليد والتأثير بغيري"¹⁰.

9 - عبد الله كنون: مرجع سابق، ص 226-227.

10 - جمعية مكتبة عبد الله كنون، مرجع سابق، ص 227.

الشعوب والأمم، وهم أحوج ما يكون إلى الاجتماع والائتلاف، ومن أعظمها أثراً في النفوس، وأكثرها ضرراً على المجتمع الإنساني، هذه النزعات القومية التي شاعت وزادت عند الغربيين في القرنين الثامن والتاسع عشر، وتسببت في كثير من المآسي والحروب لدول أوروبا وأمريكا، ثم درقرنها في البلاد الإسلامية والعربية مع مطلع هذا القرن الذي نعيش فيه، وكانت هي العلة في تشتت كلمة أهلها وتفتت وحدتهم¹³.

وهو في مقارنته بين الجامعتين اللاتينية والإسلامية، في قيام النزعات القومية، وأثر ذكر في غياب الوحدة، فإنه، لتجاوز العطب، يطلب العمل بمبدأ المشترك الإنساني، تفعيلًا لآليات الحوار وضرورات الاجتماع، وأن سبيل الله، هو سبيل الالتقاء بين أجناس البشر، باعتبار المساواة في أصل التكوين والولادة والنشأة الأولى، مستدلاً بقوله تعالى: «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا، إن أكرمكم عند الله أتقاكم، إن الله عليم خبير»¹⁴.

وللتأكيد على وجود قوميات متعددة، توقف عند مسألة عدم التفاضل بحكم التساوي في الأصل، ثم باعتبار أن جعلنا شعوباً وقبائل، وهذا دليل واعتراف بوجود التعدد، وأن الحكمة هي التعارف المثمر، والتعاون على الصالح، يقول عبد الله كنون: "فالإسلام لا ينكر القوميات بل يعترف بها، لأن وجودها شيء طبيعي، ومما تقتضيه ضرورة العمران، غير أنه يميل بها عن التفاخر بالآباء والأجداد، وعن تعصب الشعبوية وأنانيتها، وعن نظرية الجنس السامي والعنصرية المقيتة، التي تسود الآن أجزاء من العالم"¹⁵.

2 - ثنائية الدين والعقل:

والحقيقة، يقول عبد الله كنون، أنه لا تعارض بين الدين والعقل، مؤكداً على أطروحة التوفيق بين الحكمة والشرعة، وأن الدين لا يعارض العقل أبداً، وبالتالي، الدين الحق لا يكون سبباً في التخلف، ولا يعيق عن التقدم، إلا إذا تعارض مع العقل، وهو أمر باطل، لأنه يستلزم وصف الإرادة الإلهية بالعشبية، وذلك محال قطعي. وقد خلص إلى ضرورة التركيز على قيمة العقل الإنساني

13 - عبد الله كنون: الإسلام والقوميات، دعوة الحق .. م.س، ص 7.

14 - سورة الحجرات، الآية 13.

15 - دعوة الحق: مرجع سابق، ص 8.

ففيها¹⁹ ثم أضاف "الشعار" عنوان الديمقراطية الحق، لأنه يشرك الأمة في الحكم بفرض رقابتها على الجهاز الحاكم، وتحويلها حق الاعتراض على كل ما يخالف السياسة الشرعية وما ليس فيه مصلحة²⁰.

وأما كونه معياراً للمجتمع السليم، فباعتبار الخيرية قيمة مطلقة وجامعة لكل الفضائل، مصداقاً لقوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾²¹. فجعل سبب الخيرية هو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. وبالتالي الدعوة للإصلاح مقرونة بالاتصاف بقيم قبلية، وإن تحققت الشروط، وحصل القيام بهذا الواجب، فذلك ضمان لسلامة المجتمع من عوامل الانحلال وأسباب الاضمحلال.

5 - آليات الإصلاح من الوعظ إلى القانون:

في سعيه لإصلاح الحال، حدد الأهداف وعين الوسائل، حين قال: إن الاعتماد على وسيلة الوعظ والإرشاد وحدها لا تكفي في إصلاح المجتمع، وأنه لابد من سن قوانين لحماية المجتمع من عوامل الفساد، وإنزال العقوبات بمن تسول له نفسه مخالفة تلك القوانين. ثم، إن التأييد الكامل الذي يقدمه الدين لتأكيد سيادة القانون على سلوك الأفراد ليضبط حريتهم بحدود حريات الآخرين، نحو صالح المجتمع هو إحدى ظواهر التميز في الحضارة الإسلامية²².

6 - الإصلاح السياسي:

أولى عبد الله كنون قضايا الإصلاح السياسي عناية خاصة، بالنظر للأخطار التي تهدد السلطة السياسية، لذلك كان اختياره للإصلاح الوطني مسألة ضرورية، أملت الحاجة إلى الاستقرار والأمن الفكري والاجتماعي والتعايش السلمي، في إطار الشرعية القائمة، ومن ثم، حصر اهتمامه بمسألة البناء الدستوري، ومسألة الجامعة السياسية²³ التي تجعل من المسلمين كتلة واحدة في وجه الأحداث. وقال: "إنني أرى البلاد التي كانت بالأمس وطناً واحداً، وخاضعة لحكومة واحدة، قد افترقت طرائق قديداً، فلم تكتف بأنها أسست حكومات ودولاً هنا وهناك، بل إنها قد اتخذت

19 - عبد الله كنون: الأمر بالمعروف ... دعوة الحق ... ص 8.

20 - نفسه.

21 - سورة آل عمران، الآية 110.

22 - عبد الله كنون: مختارات إسلامية، ص 61.

23 - الجامعة السياسية تعبير عن الجامعة الإسلامية من حيث الجوهر والمبدأ، لا من حيث الشكل والصيغة.

ملحات عن دبلوماسية السلاطين العلويين من خلال مجلة دعوة الحق

ذسمير بوزويتة

جامعة سيدي محمد بن عبد الله - فاس

لقد اختارت وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية باقتراح من هيئة تحرير مجلة "دعوة الحق" الاحتفاء بتاريخ ميلاد هذه المجلة الغراء، وهو التاريخ الذي يصادف السنة الستون، وذلك على أساس تطبيق رغبة السلطان محمد بن يوسف طيب الله ثراه الذي استهل العدد الأول من مجلة دعوة الحق من سنتها الأولى بما يلي:

"أصبح من أكد الواجبات المنوطة بنا في فخر نهضتنا الشاملة أن نضاعف عنايتنا بالناحية الروحية والفكرية، ونعمل على تحرير العقول من قيود بعض التقاليد والأوهام التي لا تتلاءم والمفهوم الصحيح لتعاليم ديننا الحنيف... ولذلك سرنا أن تتولى وزارة الأوقاف إصدار مجلة جامعة تعنى بصفة خاصة بناحية الإصلاح الديني، كما تعالج مختلف الشؤون الاجتماعية والثقافية، ولنا وطيد الأمل في أن يلتف حولها دعاة الفكر والثقافة والإصلاح في هذه البلاد وغيرها لتؤدي مهمتها خير أداء".¹

وها نحن اليوم نلتف حول تاريخ هذه المجلة المعطاء، والتي لعبت دورا لا يستهان به في تاريخ المغرب الديني والثقافي، فكانت بحق منبرا للثقافة الحديثة، حيث كانت صفحاتها نافذة الثقافة المغربية الأصيلة، وبالتالي أسهمت في إثراء الحياة الدينية والأدبية والثقافية والتاريخية. وهنا نتساءل هل مازال لها التأثير ذاته ؟

وعلى الرغم من أهمية الدور الذي لعبته هذه المجلة من بداية ظهورها، حيث كان لها أثر ريادي في تنمية الوعي الثقافي والتنويري، وتعميق القيم الثقافية والجمالية، ونشر الإبداعات الأدبية لكوكبة

1 - مجلة دعوة الحق، السنة الأولى العدد الأول ذو الحجة 1376 هـ / يوليو 1956.

السياسي التقليدي فهي في جوهرها تتجاوز مجرد تقليد معمول به منذ عهد المرابطين على الأقل. فميزة دبلوماسية الدولة العلوية أنها كانت ترتبط بمصالح دول كثيرة لها نشاط اقتصادي عظيم بالمغرب كإنجلترا وفرنسا، فكانت تتناول في الغالب الجانب السياسي والعسكري في نطاق محدود، وقد جمعت دبلوماسية الدولة العلوية كل الجوانب التي تتناولها دبلوماسية العصر الحاضر.

لقد كانت أهم دولة إسلامية في العالم أيام الدولة العلوية هي الدولة العثمانية وبوصفها دولة تحتل الجزائر، فقد عقد المغرب معها معاهدات كثيرة، خصوصا معاهدة حول الحدود بين الطرفين بعد سنوات قليلة من تولي السلطان المولى إسماعيل، واستقرت العلاقات حسنة بين الدولتين أمدا طويلا.

وكان للسلطان سيدي محمد بن عبد الله نشاط بالغ الأهمية في الميدان الدبلوماسي حيث كان يستفيد من حسن علاقاته الطيبة بالأترك في خبرتهم التقنية البحرية والحربية...

إن أعظم مظاهر دبلوماسية الدولة العلوية، تتجلى في علاقتها مع الدول الأوروبية التي خبرت ميدان السياسة العالمية زمنا طويلا وتمكنت من بسط نفوذها بشكل أو بآخر، على دول كثيرة من العالم. وقد اكتسبت الدولة العلوية منذ العصر الإسماعيلي هبة عظيمة بسبب استرجاع الثغور المغربية والقضاء على النفوذ الأجنبي، ولذلك كانت² تتعامل مع المغرب بكثير من الحيطة والحذر خشية الدخول معه في حرب. وكان المغرب نفسه يبادل الدول المذكورة هذه الحيطة والحذر لأنه كان يخشى بدوره على استقلاله ومركزه... ومع ذلك فتحت الدولة العلوية صدرها لكل الدول الأجنبية التي تعاملت معه على أساس المودة وسياسة تبادل المنافع، وبذلك نشطت حركة المغرب الاقتصادية مع الخارج بشكل لم يتقدم له نظير في تاريخ المغرب.

وعندما طغى التنافس الأوروبي على خيرات الوطن اضطر ملوك الدولة العلوية إلى سلوك سياسة جديدة، فقد اتخذوا من طنجة مقرا للدبلوماسيين الأجانب وبواسطة نائب السلطان بطنجة، كانوا يتصلون بالحكومة المركزية التي تسوفهم وتماطلهم ثم تحاول أن تهدد بعضهم ببعض، وكانت هذه الدبلوماسية التي أثارت إعجاب المؤرخين والدبلوماسيين الأوروبيين حتى ألد أعداء المغرب منهم، تضايق السفراء والمبعوثين الأجانب الذين كانوا يندهشون من هذه الدبلوماسية التي كان بعضهم يصفها بالمرأوغة.

2 - حركات إبراهيم، "دبلوماسية الدولة العلوية"، مجلة دعوة الحق، العدد الثالث، السنة الثالثة عشر 1380هـ، فبراير ومارس 1970 م. ص. 134.

- وهذه لمحة سريعة عن بعض هذه المجالات فهناك:

مجال العلاقات مع الدول الإيبيرية (إسبانيا والبرتغال)، وقد امتد الصراع بين العلويين والإيبيريتين أكثر من قرن...

- وعנית الدبلوماسية على عهد المولى محمد بن عبد الله بإقامة ارتباطات ودية مع بعض أقطار المتوسط، لتأمين مجال العمل التجاري والدبلوماسي⁵.

- منطقة شمال أوروبا، وكان للسويد مقام ملحوظ في مضمار العلاقات الخارجية للمغرب، وكان للدانمارك أيضا ارتباطات تجارية مهمة⁶.

واستمرت الدبلوماسية المغربية في بلورة سياسة خارجية راهنت أكثر على إستراتيجية التوازنات الإقليمية والدولية.

وبلغ من ذكاء هذا السلطان أنه لم يعمل في يوم ما على التمييز بين الدول المتنافسة التي تطمع في مزيد من الامتيازات، بل كان يعرف بسياسة التوازن التي عرف بمهارته كيف يحمل عن طريقها كل الدول المتنازعة معه، على احترام سيادته ووجهة نظره⁷.

3- السلطان سيدي محمد بن عبد الله ودبلوماسية "الشراكات الإستراتيجية"

تركز في هذه النقطة على إبراز عبقرية السلطان سيدي محمد بن عبد الله في بلورة دبلوماسية الشراكات الإستراتيجية مع دول أوروبا الشرقية ومن بينها إمبراطورية السويد - النرويج.

أ- العلاقات المغربية السويدية - النرويجية على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله

يبدو من خلال ما جاء عند أبي القاسم الزياني في (البستان الظريف) أن السلطان سيدي محمد بن عبد الله وجه عبد الوهاب شكلنت باشدورا لبلاد السويد ليأتيه بإقامة المراكب والبارود⁸. وفي سياق التجاوب مع طلب المغرب، عهد إلى السيد بيتر كريستيان وولف P.C.Wulf أن يدخل في مفاوضات مع نائب السلطان بطنجة القائد عبد الصادق بن أحمد الريفي... وكان وصول وولف إلى

5 - البرجالي المهدي، "لمحات عن الدبلوماسية المغربية على عهد العلويين" ... م س، ص. 157.

6 - نفسه، ص. 158.

7 - حركات إبراهيم، "دبلوماسية الحسن الأول، لمحات عن الدبلوماسية المغربية على عهد العلويين"، مجلة دعوة الحق، العدد الرابع - السنة العاشرة 1386 - مارس 1967. صص. 168-169.

8 - الزياني أبو القاسم، البستان الظريف في دولة أولاد مولاي علي الشريف، (القسم الأول، من النشأة إلى نهاية عهد سيدي محمد بن عبد الله)، دراسة وتحقيق، رشيد الزاوية، مركز الدراسات والبحوث العلوية، الريصاني، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، 1992. ص. 396. أنظر: الكنسوسي أبو عبد الله محمد بن أحمد، الجيش العرمرم الخماسي في دولة أولاد مولانا علي السجلماسي، الجزء الأول، تقديم وتحقيق وتعليق، أحمد بن يوسف الكنسوسي، المطبعة والوراقة الوطنية، مراكش. ص. 225.

وتجدر الإشارة إلى أن المعاهدة المغربية مع السويد شكلت منطلقا لانتشار ظاهرة الحماية، إذ يعطي الفصلان الخامس عشر والسابع عشر للسويد، الحق في اتخاذ سماسرة من بين الرعايا المغاربة، بالقدر الذي يحتاج إليه تجارها لترويج تجارتهم بالمغرب، ويعفيان أولئك السماسرة وكل من انضاف إلى قناصلها وتجارها من المستخدمين والأعوان المغاربة من جميع الضرائب والتكاليف باستثناء الجزية، التي لا تسقط على أهل الذمة (اليهود) العاملين معهم، كما يسمحان لها بإنشاء محاكم قنصلية تفصل فوق أرض المغرب بين السويديين بشريعة بلدهم فيما إذا حدث بينهم خصام وبمشاركة الولاية المغربية في الحكم إذا كان الخصام بين السويديين وبين غيرهم¹³.

إن استثناء الجزية من المغارم التي يعفى المحميون من أدائها لما نص عليه الفقهاء من أن أداءها يظهر عزة الإسلام. ويبدو أن المفاوضين المغاربة الذين أعدوا مشروع هذه المعاهدة كانوا فقهاء أو متأثرين بكتب الفقه، فلم تظهر لهم عزة الإسلام إلا في هذا الأمر وحده¹⁴.

كما نصت فصول أخرى من هذه المعاهدة على "حسم الخلافات الواقعة بينهم وبين المغاربة"¹⁵.

واستمرت علاقات الصداقة والسلم بين المغرب وإمبراطورية السويد - النرويج، حيث سيسجل المغرب موقفا قويا وإيجابيا لفائدة مملكة السويد والنرويج حين دخلت في حرب مع التحالف الدانماركي الروسي سنة 1788، وقد عبر المغرب عن مساندته للسويد في هذه الحرب، حيث راسل السلطان سيدي محمد بن عبد الله جوستاف الثالث ملك السويد والنرويج عبر له فيها عن مساندة المغرب لدولته سياسيا وماديا ومعنويا ودبلوماسيا، وتقديم المساعدات للسفن السويدية الواردة على البوغاز وتزويدها بالمواد الطازجة غير الخاضعة للتعشير، وكل ما يحتاجونه بل وتزويدهم ببعض السفن والآلات الحربية لمواجهة الدنمارك. والرسالة التالية تتضمن طبيعة المساندة والدعم بدون قيد أو شرط:

13 - عبد الوهاب بنمنصور، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب من نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880، مرجع سابق، ص 10.

14 - الوثائق، مجموعة دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، المجموعة الرابعة، ص. 10.

15 - مصطفى بوشعرا، الحماية القنصلية: نشأتها وأبعادها وأعدادها وأصنافها (1863-1900)، المغرب من العهد العزيري إلى سنة 1912، الجامعة الصيفية، الجزء الثاني، ص 26.

استمر المغرب في ترسيخ علاقاته الودية مع مملكة السويد والنرويج طيلة القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، حيث لم يتوان السلطان المولى الحسن الأول في تثمين هذه العلاقات، إذ نجده في رسالته إلى ملك هذه الدولة، وهي عبارة عن رسالة جوابية مؤرخة ب 20 محرم 1299هـ / 12 دجنبر 1881م، يهنئه فيها على زواج ابنه، ويعبر له عن تقاسمه هذه الفرحة. ونورد هذه الرسالة (تحمل رقم 58) لما لها من دلالة على حرص الطرفين من أجل دوام العلاقات بين المملكتين:

الحمد لله وحده

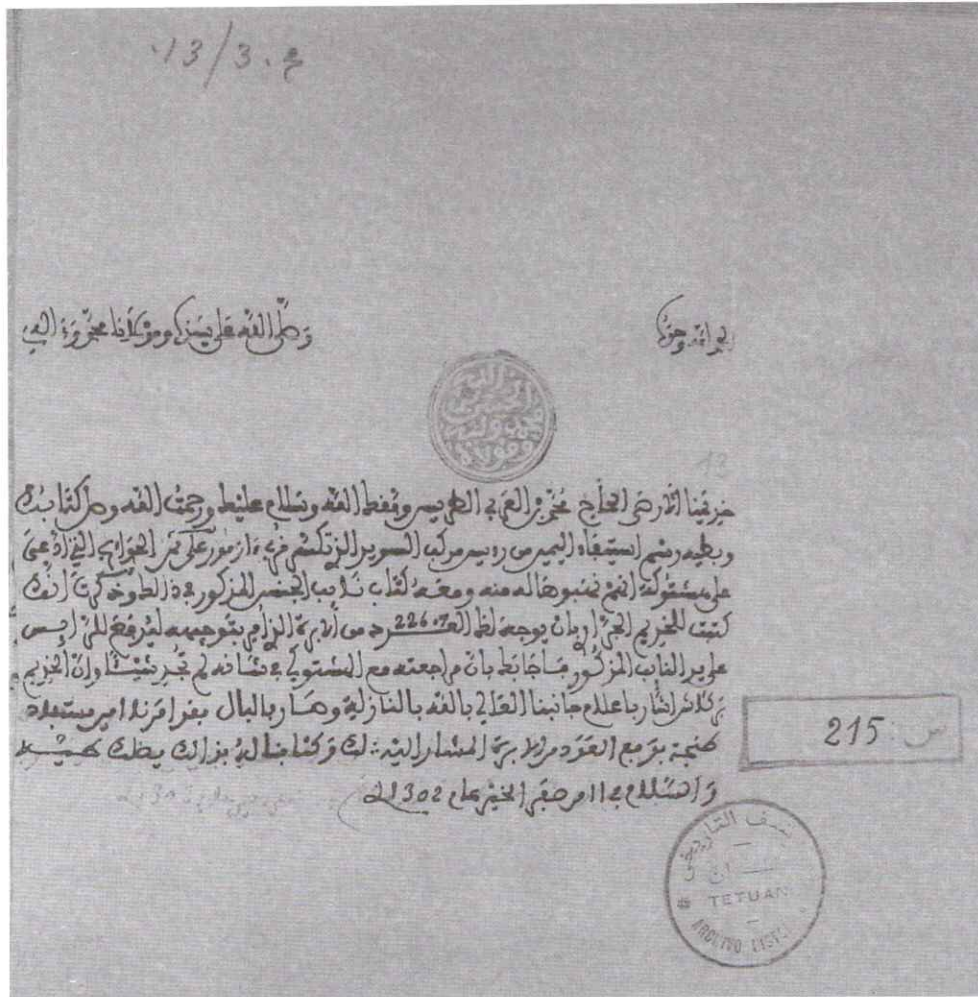
نسخة من كتاب شريف نصه

ولا حول ولا قوة إلا بالله

من عبد الله المتوكل على الله، المفوض أمره إلى الله، أمير المؤمنين بن أمير المؤمنين، بن أمير المؤمنين، بن أمير المؤمنين، ابن أمير المؤمنين، وهو (الحسن بن محمد الله وليه ومولاه).

أيده الله تأييده، ونصره، وزين بالمكرمات عصره، إلى المحب المحترم، والأمير المفخم مشيد المفاخر على أوثق المباني، سلطان السويد والنرويج وكط فانداد السلطان أصكول الثاني. أما بعد، فقد ورد على حضرتنا - العالمة بالله - كتابكم، المسفر عن خالص المحبة، صبحه المنبي بمكنون الوداد غير، ونمجد معلما، بأن ابنكم العزيز الفخيم، تزوج بفرنسيصة، سفير مرية فكتوريا، بنت المحترم (الدوقي) دوكي الكبير من باذان، لناخذ حظنا من فرحكم، ونشاطركم بذلك سروركم، فهو كذلك، لكونه من الأشياء المحببة التي عليها أمور الوداد مترتبة، وبها تحصل الألفة وصلاح الإنسان، وعمل الدول والأوطان، كيف حصلت الكفاءة بهذا القران العامر بالرجاء، وتناسل الولدان، ولم يسرنا ذلك، وأنتم من أهل المحبة التي غرسها الأسلاف، فأثمرت بالوداد الأخلاق، ودمتم متمتعين بالسرور والهناء، حتى تروا منها أبناء أبناء أبناء الأبناء. وختم في 20 محرم عام 1299هـ / 1881م¹⁹.

19 - Nehlil Mohamed, *Lettres chérifiennes*, (128 Documents reproduits en fac-similé), Première partie, Textes, Librairie Orientale, Américaine, E. Guilmoto, Editeur, Paris, 1915. LVIII.



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

خديمتنا الأرضي الحاج محمد بن العربي الطريس وفقك الله وسلام عليك ورحمت الله وصل كتابك وبطيه رسم استيفاء اليمين من رئيس مركب السويد الذي تكسر قرب أزموور على ثمن الحوائج التي ادعى على هشتوكة أنهم نهبوا له منه ومعه كتاب نائب الجنس المذكور في ذلك وذكرت أنك كتبت للخديم الجراوي بأن يوجه لك العدد/ 226.1 من الإبرة الذي أمر بتوجيهه ليدفع للرايس على يد النائب المذكور فأجابك بأن مراجعته مع الهشتوكي في شأنه لم تجد شيئاً وأن الخديم بركاش أشار بإعلام جانبنا العالي بالله بالنازلة وصار بالبال فقد أمرنا أمين مستفاد طنجة بدفع العدد من الإبرة المشار إليه لك وكتابنا له بذلك يصلك طيه، والسلام. في 11 صفر الخير عام 1302 هـ/ 1884 م.

- راهن السلاطين العلويين على تطويع الساحة الدولية لفائدة الدفاع البرغماتي عن المصالح الوطنية أولا.

- توظيف الموقع الإستراتيجي للمغرب في إستراتيجية سياسته الخارجية وذلك على اعتبار أن البحر المتوسط أصبح حلبة تجاذب وتنافس بين القوى العظمى. وفي السياق ذاته، أبدى المغرب رغبته في جعل المغرب شريكا جذابا للدول التي لها مصالح بالمتوسط. ومنها دولة النمسا- هنغاريا.

- بناء شبكة علاقات اقتصادية وثيقة مع دول أوروبا الشرقية مثل النمسا - هنغاريا...

2 - العلاقات المغربية العثمانية على عهد السلطان سيدي محمد بن عبد الله

هناك أغلوطة يقع فيها بعض الذين يكتبون عن تاريخ العلاقات المغربية الجزائرية أو بالأحرى عن تاريخ العلاقات بين المملكة المغربية وبين الإمبراطورية العثمانية، ويتعلق الأمر بما أطلق عليه "دعوى" أن المغرب وقع في يوم من الأيام اتفاقية بأن يتواطأ مع دولة ما من الدول المجاورة على ضرب العثمانيين²¹.

وهنا سنقف على المبادئ التي تقوم عليها السياسة المغربية وهي:

- مبدأ عدم التساهل إطلاقا مع العثمانيين في أي شبر من التراب المغربي...

- مبدأ التضامن المطلق وغير المشروط مع العثمانيين في مواقفهم إزاء الدول الأوروبية²².

- مبدأ الوقوف إلى جانب الباب العالي في سائر خلافاته مع الدول المسيحية... ويخلص ذلك منشور وزع على كافة القناصل بثغر طنجة في فاتح مارس 1788: "إن كل من هو على صلح مع السلطان العثماني فهو على صلح معنا، وكل من هو (كيرا) معه فهو (كيرا) معنا، واليوم الذي يعقد فيه جنس الصلح مع السلطان العثماني، فقد عقده معنا، واليوم الذي يعقد (الكيرا) فيه مع السلطان العثماني فقد عقدها معنا، ونأمركم أن تعلموا بهذا جميع أجناس النصارى...". وعلى تلك القاعدتين الأساسيتين بنيت سياسة المغرب الخارجية مع الدولة العثمانية²³.

21 - التازي عبد الهادي، "السياسة الخارجية للمملكة المغربية إزاء العثمانيين"، مجلة دعوة الحق، العدد الثاني، السنة الثامنة والعشرون 1407، ماي 1987، ص. 78.

22 - نفسه، ص. 80.

23 - التازي عبد الهادي، "السياسة الخارجية للمملكة المغربية إزاء العثمانيين" ... م س، ص. 81.

4 - الاختيار الدبلوماسي المغربي

لقد سبق للمغرب خلال القرن التاسع عشر أن طرحت عليه في سياق دولي (مؤتمر مدريد 1880) مسألة حرية التدين أو حرية الاعتقاد، وهنا يطرح سؤال المعالجة والتدبير من لدن الحكومة المغربية ومن لدن جماعة الفقهاء والعلماء.

فإن المنابر الدينية بادرت عبر مؤسسة الاستشارة السلطانية إلى طرح نازلة حرية الاعتقاد على قاعدة الشرع وقد عهد الحسن الأول إلى قاضي فاس الفقيه والعالم محمد بن عبد الرحمن العلوي المدغري بكتابة مشروع للجواب عن المذكرة، فحرره بعد استشارة العلماء بالأمر.

إن البحث في قضايا حرية المعتقد ومنهج تعامل العقل الفقهي لمغرب القرن 19م معها، مدخل لفهم منهجية التفكير الديني ومدى إسهام الفقهاء في تدبير المتغيرات التي تطرأ على الحقل الديني، وبيان الفكر الديني الذي يحكم جماعة الفقهاء والعلماء في التعامل مع المخالف الديني مثل ما طرح على هذه الجماعة في مؤتمر مدريد والأمر يتعلق بقضية حرية الاعتقاد والتدين.

كما أن مستجد "حرية الاعتقاد" الذي أقحم ضمن جدول مؤتمر مدريد يشكل أرضية مهمة للوقوف عند طريقة تعامل المخزن مع هذا المستجد من جهة، ومدى اندراج فقهاء وعلماء المرحلة ضمن أسئلة الهوية الدينية المطروحة، وهو ما يسمح لنا برصد المقاربة الفكرية التي يقدمها الفقهاء والعلماء في قضايا متعلقة بحرية المعتقد والآراء الدينية بشكل عام، ومدى قدرتها على التعاطي مع الأسئلة العقدية الخطيرة والتي لها أثر مباشر على اللحمة المجتمعية والتي كانت هي المستهدفة بين مختلف الدول الغربية.

وقد تبلورت مواقف الدول حول مسألة حرية التدين، والتي تبنت مقترحات مذكرة الفاتكان والقائلة بطرح مسألة حرية الاعتقاد والتدين في مؤتمر مدريد، وسيوضح الموقف البريطاني أكثر من خلال الرسالة الجوابية المنشورة في هذا المجموع التاسع من "الوثائق" تحت عدد 1125 والتي استفسرت فيها وزارة الخارجية البريطانية ممثل الملكة البريطانية فكتوريا في المغرب، وبقضية إدخال إصلاحات إدارية إلى المغرب.

وجاء جواب هاي عن الوضع الخاص بحرية التعبد مخيباً لآمال الدول الأوروبية التي كانت تعتقد خطأ أن المغرب بلد يعم فيه اضطهاد غير المسلمين وتحرم عليهم فيه ممارسة شعائرهم الدينية بكامل الحرية. وشهادة السفير البريطاني في هذا الباب لا يرقى إليها أدنى شك بحكم المدة الطويلة

4 - تأكيد التسامح مع أهل الأديان الأخرى: "إذ لا نحب هؤلاء إلا الخير التام والإحسان العام، وعلى ذلك كان عملنا معهم فيما فات من الزمان، وعليه يكون عملنا معهم فيما يأتي بل نريد في الخير معهم بحول الله على ما كان".

5 - قضية المساواة أمام القانون، أجاب عنها السلطان بما يلي: "إن كان المراد منها أن لا يفضل أحد أيا كان على أحد ولا يلحق البعض من البعض ظلم ولا جور، فهذا أمر جاءت به شريعة الإسلام، ولم يزل معمولاً به من أول الإسلام إلى الآن، فمن خالفه حاد عن الحق وتعرض للملام، وإن كان المراد غير ذلك من أوجه التسوية كالتناكح والشهادة واللباس والمركب أو غير ذلك فهذا أمر بيننا وبينهم شروط من ابتداء عقد الذمة من خليفة نبينا سيدنا عمر رضي الله عنه... ولا يمكن أن يفعل فيها ما يخالف الدين، وإلا كان فاعله في ديننا من الملاحدين، وعلى ذلك كان لهم السكنى معنا والاستقرار، والمعاملة والمخالطة في الأسواق والطرق والديار، وما ظلم من أبقى ما كان واتبع وإنما الظالم من خالف ما كان وابتدع"³⁰.

ثم أجاب السلطان عن مسألة التسوية في الرواتب والأجور بين رعاياه من مسلمين ويهود بقوله: "إن من يستعمل منهم أيا كان في أمر كيف ما كان، فإنما يستعمل بأجرته وعن طيب نفسه، وحيث كان الأمر كذلك فلا معنى للتشكي به ولا للتظلم بما هنالك، فالسيرة مع جميع اليهود المغاربة وغيرهم على مقتضى الحق والعدل الذي هو أصل شريعتنا، وعليه عمل أهل ملتنا، وإن وقع لأحد خلاف ذلك فمن غير شعور منا، ولو رفع ذلك إلينا لأنكرناه، ورددناه وما أقررناه".

ثم رد السلطان على قول كاتبه التصريح إن اليهود ليست لهم حرية التصرف في دينهم بقوله: "فهاهم في كنائسهم في مواضع سكناهم يفعلون ما أرادوا، ولم نسمع قط أن أحدا تعرض لهم في أمر دينهم: أعيادهم، وأنكحتهم، ومعاملتهم بما عوهدوا على عدم التعرض لهم فيه ولا يشوش عليهم في شيء من ذلك".

وختم السلطان جوابه متوجها إليهم بالنصيحة طالبا منهم التريث والأناة وعدم إصدار الأحكام قبل أن تتبين لهم الحقائق قائلا: "وبالجملة فالمعهود منكم، والمنقول بالتواتر عنكم، أنكم تتأملون حق التأمل في النوازل ولا تسرعوا وتعجلوا في أمر حتى تبحثوا ويتبين الحق من الباطل، وهذا شأن كل من

30 - بنمنصور عبد الوهاب، "أوروبا وحرية التدين بالمغرب". مجلة أكاديمية المملكة المغربية، عدد 16، 1999، ص. 28.

السيرة النبوية في مقالات مجلة دعوة الحق المغربية

ذ. سعيد المغناوي

جامعة سيدي محمد بن عبد الله بفاس.

أشير في البداية إلى أن من أهداف هذه الندوة، لفت الانتباه إلى ما تزخر به هذه المجلة القيمة من كنوز علمية عظيمة، ودعوة للباحثين والدارسين في العلوم الشرعية للرجوع إليها والاستفادة منها والإحالة عليها في بحوثهم الجامعية. ومن لم يتيسر لهم الحصول على نسخها الورقية، فبإمكانهم تحميلها من موقع وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية.

ثم أقول: لقد تصفحت 212 عددا من أعداد مجلة دعوة الحق الغراء، أي 50 في المائة مما صدر منها (ما بين 1957 و1981)، وقد صدر منها لحد الآن - كما هو معلوم - 423 عددا.

وهذه الأعداد 212 التي اطلعت عليها، 80 عددا منها تضمنت 153 عنوانا في أمور مختلفة من السيرة النبوية، يمكن تصنيفها على النحو الآتي:

1) الأشعار والأمداح:

التي تجدد السيرة النبوية، نشرت في عدة أعداد من المجلة بمناسبة الاحتفال بأحداثها البارزة، وعددها 48 قصيدة شعرية، أي ما يعادل 31.37 في المائة من مجموع ما كتب حول السيرة النبوية في نصف الأعداد التي صدرت من مجلة دعوة الحق. أما موضوعاتها فهي: المولد النبوي، الهجرة المحمدية، الإسراء والمعراج، قصة الوحي ونزوله، غار حراء، يثرب، المثل الأعلى للحياة، الرسالة المحمدية، ومدائح نبوية.

113	بمناسبة ذكرى الإسراء والمعراج	محمد بن محمد العلمي (الرباط)
114	قصة الوحي	علال بن الهاشمي الفيلاي (الرباط)
119	ذكرى المولد النبوي	عبد الله العمراني (تطوان)
119	تذكار الهدى	علال الهاشمي الخياري (الرباط)
119	الرسالة المحمدية الخالدة وجهاد العرش العلوي في سبيلها	المدني الحمراوي (الرباط)
119	بردة	محمد الحلوي (تطوان)
126	ذكرى الهجرة	محمد محمد العلمي (الرباط)
126	إلى غار حراء	عبد الكريم الطبال (شفشاون)
128-127	في محراب الرسول	عمر بهاء الدين الأميري (المدينة المنورة)
128-127	نفحة من يثرب	محمد بن محمد العلمي (الرباط)
128-127	محمد والرسالة...	معلي إبراهيم (دمشق)
129	ذكرى وحي المولد المحمدي الشريف	حسين شمس الدين (مفتي البقاع)

161	الهجرة إلى الله ورسوله	محمد بن محمد العلمي (الرابط)
163	بمناسبة عيد المولد النبوي: الاستسعاد بمدح سيد الأسياد على نهج بانت سعاد	محمد بن محمد العلمي (الرابط)
169	الاستسعاد بمدح سيد الأسياد على نهج بانت سعاد [سبق نشرها كاملة في العدد 1 من هذه السنة 17]	محمد بن محمد العلمي (الرابط)
169	موكب النور	عبد الكريم التواقي (فاس)
176	بمولد المصطفى قد أشرق الأفق	الأستاذ محمد بن محمد العلمي (الرابط)
176	عيد أكبر وعيد أزهر	محمد البوعناني
187	بين يدي النبوة	كمال عبد الرحمن رشيد (فلسطين)
192	لله كانت الهجرة	الأستاذ عبد الواحد أخريف (تطوان)
193	مولد النور	الأستاذ محمد الحلوي
196	فصل من ملحمة محمد رسول الله	الأستاذ عبد الله بلخير (القاهرة)
196	فجر الهدى	الأستاذ محمد بن المهدي العلوي

الأستاذ محمد بن تاويت (تطوان)	حول المولديات في الأدب المغربي	122-121
الأستاذ الحاج أحمد بنشقرون (فاس)	في ذكرى عيد المولد النبوي	128-127
الدكتور محمد كمال شبانة (فاس)	مولد المصطفى .. مولد أمة	128-127
الأستاذ عبد الله الجراري (الرباط)	ذكرى المولد نبراس العود إلى الحقيقة	128-127
الأستاذ أحمد عبد الرحيم عبد البر (الرباط)	في ذكرى المولد النبوي	128-127
الدكتور إبراهيم أبو الخشب (القاهرة)	ميلاد الرسول الأعظم	137
دعوة الحق	ذكرى المولد النبوي الشريف (كلمة العدد)	137
الأستاذ محمد نعيم عكاشة	في ذكرى مولد الرسول الأعظم	145
الأستاذ خليفة المحفوظي (الرباط)	في عيد المولد...	152-151
عبد العزيز بن عبد الله (الرباط)	المولد النبوي ومظاهر الاحتفال به	206

161	رؤية علمية وتاريخية جديدة لعلاقة المجتمعات العربية والإسلامية بالهجرة: الهجرة النبوية أنشأت في المجتمع الإسلامي الجديد بنية قيمية عقائدية وإنسانية خالدة	الأستاذ إدريس الكتاني (الرباط)
161	أسماء لمعت في أفق الهجرة	الأستاذ فاروق حمادة
172	المغرب يحتفل بذكرى الهجرة النبوية في ظل الوحدة والتكافل والشورى (كلمة السيد الداوي ولد سيدي بابا وزير الأوقاف في الحفل الذي أقيم في مسجد السنة بالرباط)	السيد الداوي ولد سيدي بابا (وزير الأوقاف)

ج) أحداث السيرة الأخرى:

رقم العدد من مجلة دعوة الحق	عنوان المقال	المؤلف
29	أهمية فتح مكة	الأستاذ عبد السلام الهراس
74	حول موسمي المعراج وليلة النصف من شعبان	أبو عبد الله (الرباط)
106	كتاب محمد أو إلى دار الأرقم (رواية تمثيلية... في أربعة فصول... زمانها ما بين الجاهلية وظهور الإسلام... مكانها بادية العرب ومكة المكرمة)	الأستاذة آمنة اللوه
142	مرحلة الانطلاق من بدر إلى الزلافة	الأستاذ محمد بن علي الكتاني (فاس)

(4) تسليط الضوء على جوانب مهمة من حياة بعض الصحابة الذين كانت لهم مواقف جليلة في السيرة النبوية:

رقم العدد من مجلة دعوة الحق	عنوان المقال	المؤلف
139-138	أول من بايع بيعة الرضوان... أبو السنان وهب بن محصن الأسدي	الدكتور أحمد الشرباصي
144	شهيد يوم حنين، أيمن بن أم أيمن	الدكتور أحمد الشرباصي
154	كعب بن مالك شاعر رسول الله	الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي (مصر)
161	أسماء لمعت في أفق الهجرة	الأستاذ فاروق حمادة (الرباط)

(5) دراسات في المديح النبوي وشعر السيرة النبوية:

رقم العدد من مجلة دعوة الحق	عنوان المقال	المؤلف
118	صراع القيم الجاهلية والإسلامية في شعر حسان بن ثابت	الأستاذ محمد الأمين أبو أحمد (القصر الكبير)
119	المديح النبوي في الشعر المغربي الحديث-1-	الأستاذ حسن الوراكلي (تطوان)
119	أمداح نسوية في الجانب النبوي	الدكتورة آمنة اللوه
119	الشعر في جانب النصر: بين البردة للبوصيري ونهج البردة لأحمد شوقي	الأستاذ عبد القادر الصحراوي (الرباط)

(7) دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم:

رقم العدد من مجلة دعوة الحق	عنوان المقال	المؤلف
105	دلالة القرآن على صدق الرسول صلى الله عليه وسلم في نظر الفيلسوف ابن رشد	الأستاذ محمد الطنجي (الرباط)
191	التعدد دليل على صدق الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم	الأستاذ إبراهيم محمد الجميل

(8) معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم الكبرى (القرآن الكريم):

رقم العدد من مجلة دعوة الحق	عنوان المقال	المؤلف
105	ذكرى ومعجزة	الأستاذ حسن الحجوي
105	المعجزة	الدكتورة عائشة عبد الرحمن بنت الشاطي

(9) الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم:

رقم العدد من مجلة دعوة الحق	عنوان المقال	المؤلف
119	الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم	الأستاذ رضا الله إبراهيم الإلغي
176	مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البرية صلى الله عليه وسلم	الأستاذ محمد المنوني (الرباط)

(13) الاستنباط والاستلهام من السيرة النبوية:

رقم العدد من مجلة دعوة الحق	عنوان المقال	المؤلف
27	الإسلام دين القوة والعزة: عبرة من السيرة النبوية الكريمة	الأستاذ الفاضل صاحب الإمضاء أبو عبد الله
174	كيف استلهم جلالة الملك المسيرة الخضراء من كتاب حياة محمد	الأستاذ محمد جلال كشك

(14) السيرة النبوية في الكتابات الغربية:

رقم العدد من مجلة دعوة الحق	عنوان المقال	المؤلف
128-127	نبي الإسلام في رأي الغربيين	دعوة الحق
210	محمد رسول الله تأليف البروماشردوم	عرض وتعليق الأستاذ عبد اللطيف عبد الحليم (مدرّيد)

(15) آل البيت المحمدي:

رقم العدد من مجلة دعوة الحق	عنوان المقال	المؤلف
120	بمناسبة الذكرى الأربعينية لميلاد صاحب الجلالة، القرآن وآل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم	الأستاذ الشيخ أحمد عبد الرحيم عبد البر (الرباط)

119	السيرة النبوية، والكهنة	الأستاذ الراجي التهامي الهاشمي (أكادير)
119	جوانب من سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم	الأستاذ محمد الطنجي (الرباط)
119	النبي والسلام	الدكتور أحمد الحوفي (أستاذ بكلية العلوم - جامعة القاهرة)
119	العلم المحمدي	محمد الناصر الكتاني (الرباط)
119	الحرم يا رسول الله	الأستاذ أحمد زياد (الرباط)
122-121	النبي والسلام-2-	الدكتور أحمد الحوفي (القاهرة)
124	جوانب من سيرة الرسول: عناصر المهمات الكبرى التي قام بها الرسول صلى الله عليه وسلم	الأستاذ محمد الطنجي (الرباط)
128-127	الأوضاع العالمية عند ظهور الإسلام	الأستاذ إبراهيم حركات (فاس)
128-127	كيف نعظم النبي صلى الله عليه وسلم ونقيم البرهان على محبته التي بها سعادتنا	الدكتور تقي الدين الهلالي (المدينة المنورة)

169	يا عدي، والله ما هذا بملك	الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي (مصر)
172	ارتسامات عن المؤتمر العالمي للسيرة النبوية بباكستان	الأستاذ محمد المنوني (الرباط)
173	الجانب السياسي في شخصية الرسول صلى الله عليه وسلم	الدكتور عبد الكريم كريم
185-184	وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين	الدكتور أحمد رمزي (وزير الأوقاف)
195-194	الفكر الإسلامي وتحديدات القرن العشرين: المبادرات الخلاقة لرسول الإسلام عليه السلام منذ أربعة عشر قرنا	الأستاذ عبد العزيز بنعبد الله (الرباط)
212	مدينة الرسول الفاضلة التي أسست على الحق وشريعة الله والتكامل	الأستاذ محمد بن البشير

ومما تجدر الإشارة إليه في الأخير، هو أن هناك أيضا أعدادا خاصة بالسيرة النبوية كانت تنشرها مجلة دعوة الحق بين الفينة والأخرى. فالعدد 105 -مثلا- خاص بمناسبة مرور أربعة عشر قرنا على نزول القرآن الكريم. والعدد 119 خاص بالدعوة المحمدية. والعددان 127-128 صدرا في عدد واحد ممتاز تحت عنوان: الإسلام والمسلمون في القرن العشرين. والعدد 161 خاص بالهجرة المحمدية.

هذه إذن فكرة عامة عما كتب حول السيرة النبوية في مجلة دعوة الحق، أما النماذج فسأسوق لكم بعضها منها.

ومما جاء في هذا الخطاب الملكي: (وإنني - شعبي العزيز - لأجدد العهد للأمة العربية والأسرة الإسلامية في هذه الليلة المباركة أن أظل جادا في الدفاع عن مثلها العليا وحرمانها المقدسة وحقوقها المسلوبة والعمل على إعلاء كلمتها ورفع شأنها مقتفيا آثار الرسول الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الذي ضرب لجميع المخلوقات أروع الأمثلة في جهاد النفس ومغالبة الهوى والإيثار والتضحية ونكران الذات).

وإني لموقن بأنك - شعبي - ستتخذ من هذه الذكرى "مولد المصطفى صلوات الله عليه وسلامه" مناسبة للابتغال إلى الله والتضرع إليه أن يجمع كلمة المسلمين على الحق ويؤلف بين قلوبهم على التقوى وينصرهم نصرا مؤزرا. كما أفي موقن، بأنك لن تنسى في هذا العيد الأغر إخوانا لك هم اليوم أحوج ما يكونون إلى مواساتك، وإسعافك وبذلك وسخائك).

- ومنها مؤلفات مغربية في الصلاة والتسليم على خير البرية صلى الله عليه وسلم، للأستاذ محمد المنوني (الرباط)، نشرت في العدد الرابع من السنة 18 (جمادى الأولى 1397هـ / ماي 1977م)، في اثني عشر صفحة (ص 20-31)، من أبرزها:

(1) الصلاة المشيشية، لمنشئها الإمام المولى عبد السلام بن مشيش الحسني الإدريسي دفين جبل العلم، والمتوفى عام 625 هـ.

(2) المقاصد المرشدة والمآخذ المسعدة، لابن داود: محمد بن القاسم السلوي، كان بقيق الحياة أواخر عام 812 هـ.

(3) منتهى الأمل والسؤل في الصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد النبي والرسول، لابن أبي البركات الغماري: عبد الله بن محمد ابن محمد النالي التلمساني، ثم الفاسي منزلا وقرارا، المتوفى عام 853 هـ.

(4) دلائل الخيرات وشوارق الأنوار في ذكر الصلاة على النبي المختار صلى الله عليه وآله، للإمام الجزولي: محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر ابن سليمان الحسني السملالي، المتوفى عام 870 هـ.

(5) حدائق الأنوار وجلاء القلوب والأبصار في الصلاة والسلام على النبي المختار صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الأبرار، لابن عرضون: أحمد بن الحسين بن يوسف الصالحي الزجلي الشفشاوني، المتوفى عام 992 هـ.

عناية دعوة الحق في مجاري سنيها الأولى بالمخطوط العربي

ذ. محمد الطبراني
كلية اللغة العربية
جامعة القاضي عياض، مراكش

مثلت مجلة دعوة الحق نمطا من مثرات الفرادة في الصقع المغربي، باستمراريتها وحرصها على مسحها الوطنية، دون أن تضل في مزالق المحاكاة أو تتكب الوجهة الوجيهة، وتكاثفت في صناعة طريف مجدها نخبة من أقلام العلماء والأدباء والمفكرين والشعراء المغاربة وغيرهم، أم جميعهم إلى الترفيع بالمغرب وتراثه، وتبدى طرف من ذلك في التعريف بالمخطوطات العربية النادرة، وصفا وتحليلا وتحقيقا، ونحن نرصد أبعاضا من ذلك في مجاري سنواتها الأولى:

السنة الأولى:

لم تكد تفوق المجلة سهام النجاح في كبد العدد السادس، حتى أذنت بشائر رعي كتابها لنوادير مخطوطاتنا المغربية الأندلسية لائحة لا تخطئها العين، فعرف ذ. إبراهيم الكتاني - رحمه الله - بكتابين يقعان من التراث الظاهري في لفته: كتاب المورد الأحلى في اختصار المحلى لابن حزم (ت 456 هـ)، المجلد الأول منه، وهو من ذخائر مكتبة الجامع الكبير بمكناس، وفي تضاعيف مقدمته نعرف لأول مرة القدح المعلى في إكمال المحلى لابن خليل، محمد بن عبد الملك العبدري (ق 7 هـ)، واسم المقالة الموزعة على عددتين¹: "صفحة مجهولة من تاريخ الفكر الإسلامي". وسيعود ذ. الكتاني في العدد 6 من السنة الثالثة، ليدير الكلام حول استنتاجات جديدة عن هذا الموضوع، أسعف بها نص للصفدي من الوافي بالوفيات، في مجلد منه، عثر عليه بمكتبة الأمير كايتاني بروما².

1 - العدد 6: [26-21]؛ ع 7: [37-35].

2 - ع 6، س 3: [53-52].

ومع أن بحث "الرحالة المغاربة وآثارهم"⁹، لمحمد الفاسي أيضا، لم يجد بدا من الحديث عن مضامين هاته الرحلات وتصنيفها، فلم يكن مخلصا لجردها فحسب، إلا أنه عرج على الدلالة على عدد من مخطوطات الرحلات وأماها يومئذ، كنسخة الإسكوريال من ملء العيبة لابن رشيد وغيرها، والرحلة المغربية للعبدري الحياحي¹⁰ منضمة إلى الشهاب في لقاء الأحباب لأبي العباس أفوقاي، والإصليت الخريت لابن أبي محلي، وأنس الساري والسارب لابن مليح القيسي الشهير بالسراج، وماء الموائد لأبي سالم العياشي¹¹، ورحلة ابن الطيب الشرقي الصميلي ورحلة الإسحاق، ورحلة الحضيكي وحجازية ابن عبد السلام الناصري وغيرها... وكلها كان إلى حينه مخطوطا لم تنله يد الطباعة.

وضم العدد نفسه، في باب "مطالعات وآراء"، تعريفا مقتضيا بديوان ملك غرناطة يوسف الثالث، بتحقيق العلامة عبد الله كنون¹².

ويثني الحسن السايح عطفه في العدد السابع، ليعرف في إلمامة عجلي بمخطوط السمط في خبر السبط لابن الأبار (ت 658 هـ)¹³، بررها بكونه "عثر على كتابه القيم السمط بأخبار السبط"، وهو مخطوط عزيز الوجود، يشرح مذهبه العقيدي وإيمانه الشيعي¹⁴. وسيحقق ما تبقى من الكتاب بعد ثلاثة عشر سنة على هذا التنويه به، اعتمادا على ثلاث نسخ إحداهن نسخة السايح نفسه: د. عبد السلام الهراس، وسعيد أعراب¹⁵.

وقبل أن يطبع كتاب البرصان والعرجان للجاحظ محققا بقراءة اثنتين وعشرين سنة (22)¹⁶، عرف به عبد الهادي التازي في العدد التاسع¹⁷، منها أنه "كتب لهذا المؤلف القيم أن لا تضمه رفوف خزانة في الشرق، ولكن هنا ببلاد المغرب في بزو، بين تادلة والسراغنة، جنوب شرق الدار البيضاء،

9 - س 2؛ ع 2: [12-8].

10 - ع 3: [23-19].

11 - ع 4: [26-22].

12 - لعبد القادر الصحراوي: ع 2: [68-67].

13 - ع 7: [72-71].

14 - ع 7: 71.

15 - مجلة الموسم: ع 13؛ 1992: [213-155].

16 - 1982 م؛ عبد السلام هارون.

17 - [70-68].

رفوفها، وأثرت الرطوبة في أكثرها"²⁴. ويردف هذا الذي مر - في سياق التمثيل - بإيراد نبذ من بعض نوادر المخطوطات المغربية التي تشرب لها الأعناق: "مقدمة ترتيب ديوان المتنبي" لأبي جمعة سعيد بن مسعود الماغوسي الصنهاجي المراكشي؛ وجده في بعض مكتبات تطوان، وكتاب الوافي في صناعة القوافي لأبي البقاء صالح بن شريف الرندي (ت 684 هـ)²⁵.

ومع أن مقال "تاريخ الدراسات اللغوية بالمغرب الأقصى"²⁶، لم يكن مخلصا لذكر نوادر مخطوطات هذا الصنف، إلا أن ضرورة التمثيل دعت العلامة محمد الفاسي إلى أن يعرف في عجالات ب: شرح المقصورة الدريدية، لأبي عبد الله ابن هشام اللخمي السبتي (ت 577 هـ)، والمدخل إلى تقويم اللسان، له، واختصار ترتيبه إيراد اللثال من إنشاد الضوال، لابن خاتمة الأنصاري (ت 775 هـ)، وموطأة الفصيح لمالك بن المرحل السبتي (ت 699 هـ)، وحاشية أبي عبد الله محمد بن الطيب الشرقي الصميلي الفاسي (ت 1170 هـ) على القاموس، وإضاءة الأدموس ورياضة الشمس من اصطلاح صاحب القاموس لأبي العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي (ت 1175 هـ) ... مع الدلالة في هذا الإيراد للمخطوطات على بعض محال حفظها.

السنة الخامسة:

وأما السنة الخامسة، فنلفي في ثاني أعدادها²⁷ ورابعها²⁸ على الولاء، تعريفاً بواحدة من أمات الرحلات في الصقع المغربي، وتحليلاً لمضامينها ووقوفاً عند أهم مراحلها السفرية؛ أعني الرحلة المغربية لأبي عبد الله محمد بن علي العبدري الحياحي (ت نحو 700 هـ)، وقد كانت للحين مخطوطة لم ينهض لتحقيقها ناهض، على وفرة مخطوطاتها، وغزارة مادتها.

ويبدو أن ظهور نسخة من كتاب المنزع البديع لأبي محمد القاسم بن محمد السجلماسي (ق 8هـ)، منتسخة عن خط إبراهيم بن محمد الغساني الوزير، كان حادياً للتعريف به في العدد الرابع²⁹، والتنبيه إلى قيمته في سياق النقد البلاغي المغربي الأندلسي.

24 - ع 9: 38.

25 - حققه محمد المختار الكنوني فيما بعد.

26 - ع 10: [41-35].

27 - [52-49].

28 - [44-41].

29 - [56-53].

المغرب والأندلس"³⁵، "وعليه، فإن نشر كتاب الحلة السراء، ما زال دينا في عنق الباحثين، يجب الوفاء به على كل حال..."³⁶. وستجد هذه الدعوة آذانا مشرقية صاغية، فيصدر د. حسين مؤنس الكتاب في السنة الموالية (1963) في نشرة نقدية ممتازة.

وكأنها همست أسرة المجلة بهذا الكلام في أذن د. حسن الوراكي، فانبرى بعد عدد واحد، ليعرف بواحد من أسفار الأدب المغربية المنسية³⁷، لأبي علي اليوسي، وهو "زهر الأكم من الأمثال والحكم"، في نسخه المغربية الأربع المودعة حينها بقسم الوثائق التابع للخزانة العامة بالرباط، فوصف الكتاب وصفا تحليليا، معرفا بأقسامه، وملما بشيء من منهجه، ومتخيرا نبذا منه تصلح للتمثيل، وهو إسوة بكتاب المجلة المضطلعين بالتعريف بنوادير المخطوطات، يختم مقالته بتقرير أن كتاب "زهر الأكم"، لمؤلفه العلامة النابغة والأديب المتضلع أبي علي الحسن اليوسي، ذخيرة عظيمة القيمة والنفع، ما أجدر المسؤولين عن الثقافة في بلادنا أن ينقذوه ويخرجوه إلى قراء الأدب ليستفيدوا منه"³⁸، ومع ذلك فقد بقي الكتاب في قاعات الحفظ قصيا عن مجاول التداول الواسع، حتى نشره د. محمد حجي رفقة زميله محمد الأخضر، سنة 1981 م، وبين التنبيه عليه وطبعه نحو من ثمان عشرة سنة.

وفي عطف التعريف بأبي العباس أحمد بن يوسف التيفاشي (ت 651 هـ)، يومض ذ. عبد القادر زمامة³⁹ ببيان موجز عن كتابه أزهار الأفكار في جواهر الأحجار، فيعدد أبوابه، ويدلل على منهجه التجريبي أيضا، فضلا عن الوصفي... وهي نظرات في المخطوط -والكلام لصاحب المقالة- "تدلنا إن كنا في حاجة إلى دليل على هذا التراث العلمي الذي اشترك في تكوينه أجيال وأجيال. وقد قيل إن ثقافة العرب وعلوم العرب كانت أدبية لا تعرف مجالا غير مجال النظم والنثر، ولا تعنى بالدراسات التجريبية والعلمية، ومن هنا وقع إهمال وإغفال الناحية العلمية من الحضارة العربية في جهل مرة... وعن تجاهل مرارا..."⁴⁰.

35 - س 7؛ ع 1: 68.

36 - س 7؛ ع 1: 69.

37 - ع 3: [38-34].

38 - ع 3: 38.

39 - ع 3: [49-45].

40 - ع 3: 49.

وفي أطواء العدد الثامن، يعرف ذ. عبد القادر زمامة، بالحقائق والرقائق لأبي عبد الله المقري، وينشره مقابلا عن نسختين مغربيتين⁴⁵، وهاته الرسالة من أوائل ما نشر محققا في المجلة.

ويمثل مقال ذ. محمد إبراهيم الكتاني: "جولة في المخطوطات العربية بإسبانيا"⁴⁶، وجهها من وجوه رعي الذمام لتراث المغاربة بالأندلس، وقد عرف فيه باثنتين وعشرين مخطوطة (22) من نوادر خزانة الدير. ويردده في نفس العدد تقديم وتحقيق "عقد زواج نصري من إنشاء المؤرخ الوزير لسان الدين ابن الخطيب"⁴⁷، وجرد للمخطوط من "ملاحم ودواوين السيرة والمديح النبوي"⁴⁸.

حصائل:

نخلص مما مر إلى ملاحظتين:

- أن كثيرا مما تورادت عليه أيادي متأخري المحققين في صقعنا بالإخراج، كان معلوما للرعي الأول من علماء المغرب بعد الاستقلال، دلوا عليه، وعرفوا به، وأفادوا منه... وعلى جمل استنتاجاتهم وملاحظاتهم، أقام بعض الأعلام صرح تنبيهاتهم وتصحيحاتهم وتحقيقاتهم (قرائن معرفة صاحب الاستبصار... التعريف بابن عبد الملك المراكشي....).

- أنه ندر أن يقع التعريف بأصل مخطوط في المجلة، دون أن ينهض لتحقيقه ناهض في المغرب أو سواه (درر السمط، الاستبصار؛ البرصان والعرجان، الرحلة المغربية، الشهاب في لقاء الأحباب، الإصليت الخريت، أنس الساري والسارب، ماء الموائد، رحلة ابن الطيب الشرقي الصميلي، رحلة الإسحاق، رحلة الحضيكي، حجازية ابن عبد السلام الناصري....).

45 - ع 8: [102-93].

46 - ع 10-9: [87-82].

47 - ع 10-9: [96-88].

48 - ع 10-9: [111-97].

مفالات عامة



التأسيس الديني للمشارك الإنساني

ذ. عبد الحميد العلمي
مؤسسة دار الحديث الحسنية، الرباط

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على من بعثه الله تعالى كافة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فإن الحديث عن المشارك الإنساني يستدعي استحضار المداخل العامة التي أسس عليها الباحثون اختياراتهم لمعالجة هذا الموضوع.

- فمنهم من اعتبر التعاليم الدينية هي الضامنة لاستقرار أحوال الإنسانية.
- ومنهم من اعتمد مبادئ الدولة الحديثة وجعلها كفيلة لتحقيق مستقبل المشاركات الإنسانية.
- ومنهم من عد المثالية الواقعية العمدة في الاحتكام إلى ما يجمع البشرية.
- وقد انتصر كل فريق لمذهبه، وأسفر ذلك عن مواقف تعزز ذلك الانتصار.
- قائلون بالتعاليم الدينية نادوا بشرعيتها لضمان السعادة الدنيوية والأخروية.
- والمعلقون بمبادئ الدولة الحديثة اعتبروا أن الالتزام بالأبعاد العقدية موقع في الاعتماد على الغيبيات الميتافيزيقية وهذا معاند لمبدأ التعلق بالواقعية.
- والذاهبون إلى المثالية الأخلاقية انتصروا لتأسيس ميثاق إنساني عالمي يتعين بموجبه الإعلان عن ضرورة الرجوع إلى القيم الفطرية والأخلاقية الجامعة لمسمى المشاركات الإنسانية.
- وبه يعلم أن أصحاب النظريات اختلفت مدارسهم تجاه توحيد القناعات وتجلية الأولويات، وذلك بسبب تباين المرجعيات، فاختلطت خطاباتهم في التمييز بين ما هو تاريخي وما هو ثقافي أو حضاري، وصعب عليهم جمعها ضمن رؤية واضحة وموحدة لاختلاف الأعراق والأجناس وتنوع اللغات والثقافات، وتباين الأعراف والثقافات الشيء الذي أدى إلى غياب معيرة الآليات

ولقد أتى على الإنسان حين من الدهر أنساه تلك الموجبات وأوقعه في جملة من التصرفات، عادت بالسلب على ما نطقت به الآيات البيّنات. فضاعت بسبب ذلك الحقوق والواجبات، وانتهكت الحرمات ووقع التعدي على المهج والحريات.

ولما كانت مبادئ التكريم تشمل الناس في كل وقت وحين فقد أقرها الموالف والمخالف، وأسهم كل من له انتساب للآدمية بسن قوانين وضعية لها أصول في شريعتنا الإسلامية ومنها:

- الإعلان العالمي لحقوق الإنسان سنة 1948م.
 - الميثاق العربي لحقوق الإنسان سنة 2004م
 - الاتفاقية الدولية للقضاء على جميع أشكال التمييز العنصري سنة 1965م.
 - العهد الدولي للحقوق المدنية والسياسية سنة 1966م.
 - الإعلان بشأن القضاء على جميع أشكال التعصب والتمييز القائمين على أساس الدين أو المعتقد سنة 1981م.
 - اتفاقية مناهضة التعذيب وغيره من ضروب المعاملة أو العقوبة القاسية سنة 1984م.
- وقبل هذا صدر ما يعرف بالقانون الدولي الإنساني الذي استمد مشروعيته من أعمال لاهاي وجنيف.

حيث اشتمل قانون لاهاي على مجموعة من القواعد التي أقرتها الاتفاقيات لسنتي 1899م و1907م كما اشتمل قانون جنيف على الاتفاقيات الأربع لسنة 1949م.

هذا، ولم تحظ هذه الإعلانات والمعاهدات بالاحترام التام لعدد من مضامين تلك الاتفاقيات، لذا نشط القائمون عليها بعقد الندوات، وتنظيم اللقاءات منها على سبيل المثال: لقاء سان ريمو بإيطاليا سنة 2003م في موضوع: "القانون الدولي الإنساني والنظم القانونية الأخرى". والذي أسفرت أعماله عن ضرورة احترام الحقوق المدنية التي أقرتها الأديان والتشريعات³.

ووعيا من دول أوربا بجاذبية استثمار المشترك الإنساني في السلم العالمي. فقد ورد في الكتاب الأبيض الصادر عن الاتحاد الأوروبي سنة 2008م.

= أ - كمال الخلقية لقوله تعالى: "لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم". سورة التين، آية 4.

ب - تمام الأفضلية: لقوله سبحانه: "وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلاً". سورة الإسراء، آية 70.

ج - الأهلية العلمية لقوله تعالى: "وعلم آدم الأسماء كلها" سورة البقرة، الآية 31.

3 - المجلة الدولية للصليب الأحمر، 2004م، ص 85.

2-1 أن المشترك الخلقي لا يعاند مبدأ حق الاختلاف وإبداء الرأي في شتى المجالات. يشهد له قوله سبحانه ﴿لَکَلِّ جَعَلْنَا مِنْکُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَاجًا، وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلْکُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾ وقوله تعالى: "وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا" ⁹.

3-1 أن التسليم بذلك المشترك يقتضي الإيمان بالتعايش السلمي على أسس من المحبة والتقوى لقوله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ ¹⁰.

2 - المشترك الوظيفي الاستخلافي:

وهو ما اهتمت به قواعد علم الاجتماع القائمة على مدنية الطباع والمشاركة في العمران والاحتكام إلى قوانين التساكن والبناء لضمان البقاء والاستمرار. وجماع القول في هذا الجانب أمران: -أحدهما: له تعلق بالاستخلاف في الأرض، يستفاد ذلك من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ ¹¹.

ومما ينبني على التسليم بالاستخلاف:

ضرورة عمارة الأرض وعبادة الله بها لقوله سبحانه: ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ﴾ ¹².

وها هنا تنبيه هو أن السين والتاء في كلمة ﴿استعمرکم﴾ تفيد الطلب الذي أدنى مراتبه الندب لكنه يفيد الوجوب في هذه الآية، وهو مذهب جماعة من المفسرين:

وفي مقدمة ابن خلدون: "أن الاجتماع الإنساني ضروري... أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدينة في اصطلاحهم وهو معنى العمران" ¹³.

8 - سورة المائدة، آية 50.

9 - سورة يونس، آية 19.

10 - سورة الحجرات، آية 13.

11 - سورة البقرة، آية 29.

12 - سورة هود، آية 60.

13 - ابن خلدون، 1988م، المقدمة، ص 16.

- فالوصايا العشر أصول جامعة لقضايا التوحيد ومجانبة عبادة الأوثان، وعدم جعل الله عرضة للإيمان، والبر بالوالدين وتحريم القتل والزنا وقول الزور ورعاية حرمة الجار.
أما الضروريات فتطلق على الكليات الخمس، وهي الحفاظ على الدين والنفس والعقل والنسل والمال.

وقد نص الأصوليون على أنها من قبيل ما اتفقت عليها جميع الشرائع والديانات.
إلا أن جعلها منطلقاً للمجتمع الإنساني يقتضي إمعان النظر في العمل بالأولويات، فالحفاظ على الدين مقدم على حفظ النفس، لكن لو عدت النفس لعدم معها التدين ولما بقيت الحاجة للحديث عن حفظ العقل أو النسل أو المال.
وعملاً بقاعدة الأرجحية، فقد حظي الدين بالأولوية لأن الحديث عنه لا يستقيم إلا مع فرض وجود البشرية لذا اقتضى منهج العرض أن نبدأ بالأعلى لأنه أولى وأحرى.
ولما كان الموضوع يعنى بالتأسيس الديني. فإني سأجعله تحت فصول أقدمها في المبادئ والحقوق الآتية:

1 - الحق في ممارسة العبادات.

من المعلوم أن مسألة التدين فطرة جبل الله الناس عليها، فهم مهياؤون بطبعهم للاعتقاد المفضي إلى ممارسة الشعائر والعبادات. سواء كانوا من أهل الفترات أو من أصحاب الرسالات. قال تعالى:
﴿فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرت الله التي فطر الناس عليها﴾¹⁶. والقول بالفطرة من مؤسسات المشترك بالإقرار، دال على مبدأ الاختيار لتضافر النصوص القرآنية عليه. كقوله تعالى:
﴿لا إكراه في الدين﴾¹⁷.

وقوله سبحانه: ﴿فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر﴾¹⁸. وللمعترض أن يوجه اعتراضه بأن هذا التأسيس لم يقف على ما نصت عليه المادة 18 من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان. ومضمونها الحق في حرية تغيير ديانة الفرد أو عقيدته.

16 - سورة الروم، آية 29.

17 - سورة البقرة، آية 256.

18 - سورة الكهف، آية 29.

1-2-3 استمرار الصحابة رضي الله عنهم، وكل من جاء بعدهم على ما استقر عليه أمر حرية التدين في الإسلام.

يشهد لذلك عقد أمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه لأهل بيت المقدس الذي أعطاهم فيه: "أمانا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبناهم، لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم"²².

فقوله: لا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم دال بالعبرة على حرية العبادة وعدم المضارة لأحد.

1-2-4 توارد النصوص الشرعية، والنقول الفقهية على ضرورة احترام عقائد غير المسلمين وحماية أموالهم ودمائهم. فعن علي كرم الله وجهه: "إنما بذلوا الجزية لتكون أموالهم كأموالنا ودمائهم كدمائنا"²³.

وفي الفقه الإسلامي ما يضمن الرعاية الصحية والمعيشية للعاجزين من أهل الذمة. بل فيه ما يسمح لهم بالمشاركة في الحياة السياسية وتولي الوظائف الإدارية في الدولة الإسلامية ما عدا رئاسة الدولة والقضاء وماله علاقة بالخطط الشرعية.

تلك كانت أهم المؤشرات للحق في ممارسة العبادات دون شعور بأية مضايقات فماذا عن:

2- مبدأ احترام الحق في الحياة

وهو رأس الحقوق المدنية وسنام المشتركات الإنسانية، وسأعمل على تصويره من خلال حفظين وتعلقين:

1-2-1 أما الحفاظ:

- فأحدهما وجودي، ويتحقق وجه الحفظ فيه بسن ما يقيم أود النفس وجودا كتناول المأكولات.

وتعاطي الملابس، واتخاذ المسكنات وضمان الحق في التنقلات والاستفادة من العلاجات وغيرها من الأمور الخاديات.

22 - محمد حميد الله، 1987م، الوثائق السياسية والإدارية للعهد النبوي، ص 488.

23 - ابن قدامة موفق الدين عبد الله المقدسي، 1968م، كتاب المغني، ج 9، ص 362.

4 - متابعة الشريعة الإسلامية للحقوق الثابتة للإنسان من النهي عن التمثيل به أو حرقه أو تشويه جثته مع وجوب إكرامه بدفنه لا يميز في ذلك بين مقاتل ومهادن فقد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم "كان لا يمر بقتيل فيجأوزه حتى يأمر بدفنه لا يسأل أمسلم هو أم كافر"²⁶.

- ومن المتممات الخادمة للحق في الحياة:

1 - ضمان السلامة الصحية للإنسان:

- والأمر فيها آيل لسلامة الأعيان، وطب الأبدان لذا أنشئت من أجله المستشفيات والمصحات توليها خيرة الأطباء، إذ إليهم وكلت مهمة الرعاية الصحية للمسلمين وغيرهم. فقد نص المشرع على عقوبات زجرية للمقصرين والمفرطين.

فعن مجاهد أن علياً كرم الله وجهه قال في الطبيب: "إن لم يشهد على ما يعالج فلا يلوم من إلا نفسه"²⁷.

- وفي كتاب نهاية الرتبة للشيرازي ت 590هـ "خذوا دية صاحبكم من الطبيب فإنه هو الذي قتله بسوء صناعته وتفريطه"²⁸.

2 - ضمان حق الرعاية الاجتماعية:

وذلك بتوجيه النظر لمساعدة المعوزين والعاجزين. ففي رسالة نهج البلاغة: "انظر إلى ما اجتمع عندك من المال فاصرفه إلى من قبلك من ذوي العيال والمجاعة"²⁹.

ولم تقتصر تلك الرعاية على المسلمين. بل نص الفقه الإسلامي على ضمان العيش والرعاية للعاجزين من غير المسلمين. ففي كتاب التاج والإكليل: "يجوز الوقف على الذمي، ومن حبس أو تصدق على مساكين اليهود والنصارى جاز"³⁰.

26 - ابن قدامة المقدسي، (1968م)، كتاب المغني، ج 10، ص 470.

27 - الهندي المتقي علاء الدين علي بن حسام الدين، 1981، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، ج 15، ص 35.

28 - الشيرازي عبد الرحمن بن نصر الشافعي، 1946، نهاية الرتبة في طلب الحسبة، ص 98.

29 - الرضي الشريف، 2005م، نهج البلاغة، ص 755.

30 - المواق محمد بن يوسف العبدري المالكي، 1994م، التاج والإكليل شرح مختصر خليل، ج 7، ص 633.

"قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة. فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء فقال: ما هذا؟ قالوا: هذا يوم صالح نجى الله تعالى فيه موسى عليه السلام، فصامه وأمر بصيامه"³⁴.

2 - إفادة تتعلق بالأخذ بأعراف الغير والانفتاح على العادات

من المعلوم أن الإسلام بنى أحكامه على الأخذ بالأعراف، ومراعاة الخصوصيات. والانفتاح على الثقافات، سواء تعلق الأمر بالمسلمين أو بغيرهم من مختلف الإيالات. جاء في كتاب العرف والعمل: "كان للعرب بعض الشعائر الدينية تتماشى مع الفطرة، تسربت إليهم من بقايا الديانات وطبقوا منها بعض الأحكام"³⁵.

كما ذكر أبو العباس المقرئ أن بعض حكام الأندلس قال: "إننا ما استقمنا في هذه الديار إلا بحفظ العوائد"³⁶.

وفي صحيح مسلم والموطأ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لقد هممت أن أحرم الغيلة في الرضاع لولا أن قوما من فارس يفعلونها ولا تضر أطفالهم"³⁷.

وفي هذا المثال ما يدل على أخذ الإسلام ببعض أعراف وعادات غيرهم من أهل فارس.

3 - إفادة تتعلق بقبول الغير والانفتاح على اللغات وتوطين ذوي الهجرة من مختلف الديانات والثقافات

لقد تظافرت نصوص الشريعة على قبول الغير وحسن معاملته، والاستفادة من خدماته وتجاريه منها:

- ما ثبت في صحيح البخاري عن أنس رضي الله عنه قال: "كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم ويعوده"³⁸.

34 - البخاري، محمد بن إسماعيل، 2002م، الجامع الصحيح، رقم الحديث 1356.

35 - الجيديد عمر، 1984م، العرف والعمل، ص 70.

36 - المقرئ أبو العباس شهاب الدين أحمد بن أحمد التلمساني، 1978م، أزهار الرياض في أخبار عياض، ج 1، ص 59.

37 - الباجي أبو الوليد سليمان بن خلف التجيبي، 1912م، المتقى شرح الموطأ، ج 4، ص 155.

38 - البخاري، محمد بن إسماعيل، 2002م، الجامع الصحيح، حديث رقم 1356.

إنها مبادئ راقية تدل على نظرة حضارية للمشاركات الإنسانية، ومن متعلقات تلك النظرة: عناية الإسلام بالمشارك الإنساني القائمة على ضمان الحق الكريم في الحياة، وممارسة العبادات وصيانة الحريات، والعدل والمساواة، والانفتاح على مختلف اللغات والثقافات والحضارات قدمناه مشفوعا بالأدلة النقلية والبراهين العقلية.

فكل ذلك من قبيل السنن الكونية ولن تجد لسنة الله تبديلا.

هذا ما يسر الله جمعه بشأن التأسيس الديني المشترك الإنساني، فعسى أن يكون ما قدم فيه نافعا لقارئه آمين والحمد لله رب العالمين.

التعايش السلمي في الإسلام في ضوء المقاصد الشرعية.

ذ. عبد الواحد الوزاني

باحث في العلوم الشرعية - الدار البيضاء

الحمد لله رب العالمين جعل غاية شريعته مراعاة مصالح خلقه، والهدف من رسالته الرحمة بعباده، وأنزل شريعته هداية للناس كافة، نصلي ونسلم على الرحمة المهداة والنعمة المسداة والسراج المنير، وعلى آله وأصحابه أجمعين وبعد، فقد تباينت الرؤى كثيرا عن التعايش السلمي بين الدول والمجتمعات المختلفة، فهناك رؤى جنحت إلى الإفراط وأخرى إلى التفريط في هذا الأمر، ولم تلتزم الوسطية التي ميز الله بها هذه الأمة في قوله جل شأنه: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾، وجافت منهج الفطرة الإنسانية وأسس تقاسم العيش في الحضارة البشرية.

وإن مسائل التعايش والتعددية - سواء كانت دينية أم اجتماعية أم سياسية - هي من أكثر المسائل استحقاقا للدراسة والبحث من أجل تصحيح التصورات الخاطئة وصولا إلى لم الشمل ونزع فتيل التوتر بين أبناء المسلمين أنفسهم، وبين غيرهم من بقية الأمم.

وقد برز في الآونة القريبة الكثير من النداءات الداعية للتقريب بين المذاهب الإسلامية المختلفة، وبين التعدديات الموجودة في العالم اليوم، إلا أن مصطلح التعايش يضبط هذه النداءات ويردها إلى سياج التسامح والعيش السليم بين أطراف البلد الواحد، بل اختاره بعضهم حتى بين المذاهب الإسلامية المختلفة، بديلا عن مصطلح "التقارب" لما يستلزمه هذا الأخير من تنازلات، بخلاف مصطلح التعايش الذي يدعم الوحدة والتسامح ويحفظ الخصوصيات، لهذا حرصت أن يكون المصطلح الرئيس لهذا الموضوع هو التعايش السلمي عوض التقارب أو ما شابهه من المصطلحات التي لا تعطي الدقة المطلوبة في التعبير.

وبما أن موضوع التعايش السلمي في الإسلام عبارة عن عملية مستقرة ومستوعبة، ينطلق المسلمون فيها من مبادئ فطرية لتنظيم وإنشاء العلاقات التعايشية في ثلاث مستويات، وهي:

والمسالمة: المصالحة⁴، ومنه قول النبي صلى عليه وسلم: «أسلم سالمها الله»⁵. والسلم: الصلح؛ والسلم: المسالم تقول: أنا مسلم لمن سالمني، وقد أمر الله سبحانه وتعالى المؤمنين بالدخول في السلم كافة فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة﴾⁶ أي خذوا بجميع عرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره وترك جميع زواجره ما استطعتم إلى ذلك⁷.

وتحية المسلمين السلام والتسليم، وهو مصدر سلمت، ومعناه: الدعاء للإنسان بأن يسلم من الآفات في دينه ونفسه، وتأويله: التخليص⁸. والسلام كاف في إعطاء صاحبه الأمان، فلو سلم غير المسلم على المسلم لزمه الكف عنه حتى ولو كان ذلك أثناء القتال، لقوله تعالى: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلم لست مؤمناً﴾⁹ وذلك لأن الإسلام معناه إظهار قبول ما أتى به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو كاف في حقن الدم وحفظ العرض والمال حتى ولو كان منافقاً، قال تعالى: ﴿عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم مودة والله قدير والله غفور رحيم﴾¹⁰ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾¹¹ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون¹².

المطلب الثاني: أدلة التعايش السلمي في القرآن والسنة.

أ - أدلة التعايش السلمي من القرآن:

- قال تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾¹³. وقال تعالى: ﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى﴾¹⁴ وقال تعالى: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين﴾¹⁵.

4 - نفسه، 376/32.

5 - أخرجه البخاري في صحيحه، باب ذكر أسلم وغفار ومزينة وجهينة وأشجع، حديث رقم: 3514؛ ومسلم في باب دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، حديث رقم: 2514.

6 - سورة البقرة، الآية 206.

7 - تفسير ابن كثير، 371/1.

8 - تاج العروس، 385/32.

9 - سورة النساء، الآية 93.

10 - سورة الممتحنة، الآيات 7 - 9.

11 - سورة المائدة، آية 9.

12 - سورة النحل، الآية 90.

13 - سورة الممتحنة، الآية 8.

- ودعا لأم أبي هريرة فقال: «اللهم اهد أم أبي هريرة»²⁰ فهداها الله تعالى وأسلمت.

المبحث الثاني: في بيان أن التعايش المشترك قائم على تبادل المصالح والمنافع.

الاختلاف سنة وناموس كوني، خلق الله سبحانه وتعالى الكون على أساسه، لمقاصد وغايات سامية، أجلها وأعظمها حصول التنوع والتكامل بين سائر العوالم والحوادث... فكل صنف من هذه المخلوقات يتوقف في أداء وظيفته على صنف آخر من أجل حصول التكامل وتحقيق النفع العام، واستكمال النقص، إذ المتصف بالكمال المطلق هو الله سبحانه وتعالى، ومن الآيات الدالة على ذلك قوله عز وجل: ﴿ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرايب سود﴾ ومن الناس والدواب والانعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور²¹ وهذا الاختلاف والتنوع الكوني هو آية من آية الله عز وجل: ﴿ومن آياته خلق السماوات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين﴾²² وهو وإن كان عاما في جميع المخلوقات فهو خاص في جنس البشر، ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة، ولكن اقتضت حكمته أن يجعلهم مختلفين، قال عز وجل: ﴿ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم﴾²³.

واختلاف الناس فيما بينهم درجات كل درجة مرتبطة بالتي تليها، فأول هذه الدرجات الاختلاف في الصفات الجسمية والطبائع النفسية والأماكن التي نشأوا فيها، وينتج عن هذه الدرجة تعدد ميولات الناس وتوجهاتهم وتجاربهم ولغاتهم وأفكارهم، وينتج عن هذه الدرجة الثانية من الاختلاف درجة ثالثة، هي اختلاف قناعاتهم الوجدانية وتكوينهم الثقافي، وميولهم الفني واختياراتهم للمهن والحرف...

واختلاف الناس فيما بينهم على هذه المستويات الثلاث ليس اختلاف تضاد، بل هو اختلاف تكامل من أجل تحقيق التعاون والتكامل، بحيث لا يكمل العيش الهنيء للجميع إلا بتكامل الجميع، فلا يمكن أن يتحقق العيش للأفراد بصورة معزولة عن عيش الآخرين، وقد تبلور من هذا

20 - رواه مسلم في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبو هريرة الدوسي، برقم : 2491.

21 - سورة فاطر، الآية 28.

22 - سورة الروم، الآية 21.

23 - سورة هود، الآية 118.

ومن أحسن ما ورد في هذا الشأن عن العلماء والأدباء قول الجاحظ عن التغافل: «وقد جمع محمد بن علي بن الحسين صلاح شأن الدنيا بحذافيرها في كلمتين، فقال: "صلاح شأن جميع التعايش والتعاشر ملء مكيال، ثلثاه فطنة، وثلثه تغافل". فلم يجعل لغير الفطنة نصيباً من الخير، ولا حظاً في الصلاح لأن الإنسان لا يتغافل إلا عن شيء قد فطن له وعرفه»³¹.

المبحث الثالث: في بيان أطرف التعايش الواجب على المسلمين إقامته.

هناك ثلاث مستويات من العلاقة يطلب الإسلام من المسلمين إيجادها وتفعيلها:

- المستوى الأول: ينظم علاقة المسلمين مع بعضهم.
 - المستوى الثاني: ينظم علاقة المسلمين مع أتباع الشرائع السماوية الأخرى.
 - المستوى الثالث: ينظم علاقة المسلمين مع جميع الناس داخل المجتمع الإنساني.
- وقبل تعريف كل علاقة يحسن الالتفات إلى عدة نقاط:

- النقطة الأولى: يجب اعتبار كل علاقة غير الأخرى، ذلك أن لكل علاقة من هذه العلاقات وضعية نوعية ذات مواصفات خاصة؛ فمثلاً تعد حالة الأخوة الدينية من مواصفات علاقة المسلمين بعضهم ببعض، وهي منتفية في غيرهم.

- النقطة الثانية: على الرغم من كون كل علاقة، غير الأخرى فإن كل العلاقات تستقيم وتتأسس بالاعتماد على أسس مشتركة، فلو كان هناك فرق بينها فإنما يتمثل الفرق في زيادة وقلة العناصر التي هي أسس لبناء العلاقة، بمعنى أن العلاقة الإسلامية القائمة بين المسلمين أنفسهم، تنبني على أسس أكثر مما ينبني غيرها عليه، كما أن العلاقة بأتباع الديانات السماوية السابقة تنبني على أسس أكثر مما تنبني عليه العلاقات الإنسانية العامة، وتعتبر العلاقات الإنسانية هي النواة الأصلية المشتركة بين العلاقات الثلاث.

- النقطة الثالثة: سأركز إن شاء الله في هذا البحث على الأسس المشتركة لهذه العلاقات الثلاث، أما بيان مواصفات كل علاقة من هذه العلاقات، والأسس الاختصاصية لكل علاقة فهما موكولان إلى مجال آخر.

31 - البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، 88/1.

أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام، قال الله عز وجل: ﴿شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم إليه الله يحببني إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب﴾³⁶.

ولا يكتمل إيماننا نحن المسلمون حتى نؤمن بما أنزل على أنبياء الله ورسله أجمعين مصداقا لقوله عز وجل: ﴿قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبئون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون﴾³⁷ ورغم أن أهل الكتاب لا يؤمنون بخاتم الرسل سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، ورغم أنهم حرفوا وغيروا في كتبهم المنزلة عليهم، فإن القرآن الكريم يرشدنا إلى قواعد أساسية في التعامل معهم، وهي:

1 - قوله تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا﴾³⁸ أي تعالوا نتخلص من الخضوع لغير الله، ومن عبادة غيره، واتباع شرع غير شرعه، ونظام غير الذي ارتضاه لعباده.

2 - ﴿ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله﴾ أي لا يتسلط بعضنا على بعض ويظلم بعضنا بعضا³⁹.

3 - ﴿فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾، أي فإذا لم يوافقنا أهل الكتاب على تلك الكلمة السواء، فإنه يجب علينا أن نعلن لهم إصرارنا على الإسلام لله وحده لا شريك له، ورفضنا الخضوع لغير الله، وتبرؤنا من التسلط على أحد، وهذا الإعلان من شأنه طمأنة أهل الكتاب، بغية تبادل المنافع وتحقيق التعايش، وهو أمر ضروري للطرفين، وتلك هي قمة الحرية الدينية والدينية التي أقرها الإسلام للجميع. وهذا ما بينه الله عز وجل في سورة الممتحنة، وفيها بقية القواعد الأساسية للتعايش معهم، وهي:

4 - قوله عز وجل: ﴿لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم﴾⁴⁰؛ وفي هذه الآية توجيه من الله إلى مسالمة المسالمين منهم ومهادنتهم، والبر والإحسان بهم.

36 - سورة الشورى، الآية 11.

37 - سورة آل عمران، الآية 83.

38 - سورة آل عمران، الآية 63.

39 - ينظر: أحكام القرآن للجصاص الحنفي، 15/2 - 16.

40 - سورة الممتحنة، الآية 8.

فالناس سواسية من حيث بشريتهم، ولكنهم يتمايزون بتقواهم وبما يقدمون من خير لسعادة الإنسانية ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ إن الله عليم خبير⁴⁶، ولذلك فرق القرآن بين الإنسان الذي اتبع رسالة السماء الداعية إلى الإيمان والخير وسعادة الإنسانية، وبين أولئك الذين رفضوا رسالة السماء، أي رفضوا الإيمان والعلم والسلام والخير للبشرية، كل ذلك بغض النظر قطعياً عن اللون أو الجنس أو الإقليم، فقال تعالى: ﴿هو الذي خلقكم فمنكم كافر ومنكم مؤمن والله بما تعملون بصير﴾⁴⁷.

فالمسلم في نظر القرآن هو من أسلم وجهه وقلبه وحياته كلها لله واتبع شرعه، وآمن باليوم الآخر، والملائكة، والكتب، والمرسلين دون استثناء أو تمييز، وغير المسلم هو من اختل عنده هذا الميزان السماوي، ورغم اختلال الميزان لدى الإنسان غير المؤمن، فإن المسلم مطالب بالتعامل معه في إطار العلاقات الإنسانية، والتعاون فيما يعود بالنفع العميم على الناس أجمعين، ومن بين أوجه التعاون المطلوبة:

1. اتخاذ المواقف العادلة أولاً، ثم الحسنة ثانياً تجاههم.
2. التعاون معهم على حل المشاكل التي تعاني منها الإنسانية.
3. التعاون معهم على البر والخير وعمارة الأرض.
4. تبادل المنافع والمصالح والخبرات الاقتصادية والمعيشية.

المبحث الرابع: في بيان أسس التعايش المطلوب في الإسلام.

من المعلوم عند علماء المقاصد أن «مقصود الشرع من الخلق خمسة: وهو أن يحفظ عليهم دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة ودفعها مصلحة»⁴⁸. وهذه الأصول الخمسة بها تستقيم حياة الناس، وبها يستمر وجودهم في هذه الحياة، وأن انعدامها موقع في العدم والزوال إن كانت في رتبة الضروريات، أو الشقاء والحرَج إن كانت في رتبة الحاجيات، أو زوال البهجة والحسن والرخاء إن كانت في رتبة التحسينيات، ولا بد لتحقيق هذا المقصود من التعايش والتعايش على أسس سليمة

46 - تنمة الآية السابقة.

47 - سورة التغابن، الآية 2.

48 - المستصفي للإمام الغزالي، 1/174.

يحدد العلاقات بين الناس في حال السلم وحال الحرب، فهي القسطاس المستقيم الذي به توزع الحقوق، وبه تحمى الحقوق، وبه ينظم الوجود الإنساني⁵⁵.

وكما أمر الإسلام بالتزام العدل كذلك نهى عن الظلم فكان التأكيد على العدل يزداد في المواطن التي يكثر فيها الظلم والحاجة إلى حماية الحقوق، وعلى ذلك وردت النصوص الكثيرة سواء من القرآن الكريم أو السنة النبوية تلزم المسلمين بإقامة العدل في الحكم والقضاء.⁵⁶

- الحرية:

الإنسان حر منذ الولادة إلى أن يموت، قرر الإسلام هذا المبدأ ووضع له الضمانات الكفيلة، والحرية أغلى شيء في حياة الناس، بها يملك الإنسان شخصيته ويثبت كيانه وهي أكبر مظاهر الكرامة الإنسانية والطريق إلى الإيمان الصحيح والمسؤولية، قال سيد قطب رحمه الله في كتابه (في ظلال القرآن): «وفي هذا المبدأ يتجلى تكريم الله للإنسان، واحترام إرادته وفكره ومشاعره، وترك أمره لنفسه فيما يختص بالهدى والضلال في الاعتقاد، وتحميله تبعة عمله وحساب نفسه، وهذه هي أخص خصائص التحرر الإنساني»⁵⁷، فهي تشمل حرية الاعتقاد وحرية التفكير وحرية الكلمة وحرية التصرف، وأعطى الإسلام لكل هذه الجوانب مجاها الفسيح، ومن أجلها قرر مبدأ: ﴿لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي﴾⁵⁸. ومن أجلها شرع الجهاد لإزاحة النظم الجائرة التي تحول من حرية اختيار شعوبها لأي دين تطمئن إليه.

على أن الحرية لا تعني التحلل من كل الضوابط اتباعا للهوى، حتى يسع المرء أن يمس بحقوق الآخرين وينتهك حرمتهم، وإلا فهي الفوضى والفساد. «إن الحرية الحقيقية تبتدئ بتحرير النفوس من سيطرة الأهواء والشهوات وجعلها خاضعة لسلطان العقل والضمير»⁵⁹، بهذا يشعر

55 - العلاقات الدولية في الإسلام للشيخ أبو زهرة، ص 35.

56 - انظر على سبيل المثال قوله تعالى: (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا) سورة النساء آية 58 وقوله أيضا: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم أو الوالدين والأقربين إن يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما فلا تتبعوا الهوى أن تعدلوا وإن تلووا أو تعرضوا فإن الله كان بما تعملون خبيرا) النساء 135، وانظر سورة المائدة آية 8.

57 - في ظلال القرآن لسيد قطب 1/291

58 - سورة البقرة، الآية 256.

59 - العلاقات الدولية في الإسلام للشيخ محمد أبو زهرة، ص 28.

خاتمة

لا يخفى أن الأصل في البشرية أنها كلها من أصل واحد، قال عليه الصلاة والسلام: «أنتم بنو آدم، وآدم من تراب»⁶⁵، وهذا يقتضي منهم الرحمة والتعاطف والتآلف؛ لأن الأصل الغالب في التعايش أن يكون بألفة ومودة ورحمة، لهذا كان الأصل في العلاقات الإنسانية هو السلم، أما الحرب فهي طارئة وتكون لصد عدوان خارجي، أو دفاع عن المظلومين والمستضعفين.

كما أن التعايش المشترك بين الناس هو أمر تبادلي قائم على تبادل المصالح والمنافع بين بني البشر، حيث لا تستقيم حياة الناس إلا بالناس، ولا يمكن لفرد أو فئة من الناس أن تعيش في معزل عن المجتمع الإنساني ككل، لهذا كانت مستويات التعايش في الإسلام ثلاث: مستوى إسلامي يشمل المسلمين فيما بينهم على اختلاف مذاهبهم العقدية والفقهية، ومستوى ديانى يتعلق بعلاقة المسلمين بأهل الكتاب، وقد بين القرآن الكريم والسنة النبوية قواعد تتعلق بتنظيم التعامل معهم في حالة السلم وحالة الحرب، ومستوى إنساني يشمل بني آدم كلهم الذين هم أمة الدعوة، والذين يجب التعاون معهم لتحقيق مقصد الاستخلاف في الأرض وعمايتها بالخير والصالح وتبادل المنافع والخبرات الاقتصادية والمعيشية.

إلا أنه إذا ألقينا نظرة على واقع الناس اليوم، نجد البشرية على خلاف هذه القيم التعايشية السامية التي سنّها الإسلام، حيث الحروب العرقية والطائفية والدينية هنا وهناك، تحت مبررات شتى واهية، يكون النصيب الأكبر منها موجهاً ضد المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، تحت مسميات شتى، لهذا وجب وضع ميثاق شرف عالمي أممي، يسود فيه العدل والحق، والحرية للجميع، والمساواة بين جميع أقطار العالم، لا تحكم فيه لمجموعة ما بمصائر دول وأمم.

كما يجب على المسلمين أن يعرفوا بدينهم، ويحسنوا تقديمه للناس كافة، لأنه لا نجاة للبشرية إلا بهدي هذا الدين الحق السمح، حيث قال عز وجل في حق هذا الدين: ﴿يا أيها الناس قد جاءكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين﴾⁶⁶، وفي حق خاتم المرسلين ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾⁶⁷.

65 - أخرجه الترمذي في سننه، باب فضل الشام واليمن، حديث رقم: 3956، وقال عنه حديث حسن صحيح.

66 - سورة يونس الآية 57.

67 - سورة الأنبياء الآية 106 .

حيوان العمد

دعوة الحق¹

محمد الطنجي

للهـدى أزكى عهـود
 ربنا خير جنـود
 ن على هذى النجـود
 ل القلوب من جديـد
 ور على قلب الجـود
 ام كتاب وحـود
 اس من الخلق الحميـد
 بانحلال وجدـود
 وابتداع وجمـود
 واردعي كل مـريد
 دون ضعف أو بـرود
 م على الجيل الجديـد
 هم إلى ركن شديـد
 ن على عزم وطـيد
 في علاء وصعـود
 ذات تاريخ مجيـد
 في مضاء كالأسـود
 ف على المسعى الحميـد
 فوق أقيال وصيـود
 للعلا أجمل جيـود
 وفتوح كل عيـود
 كتبوا سـفر الخـود

دعوة الحق أعيـد
 واجعلي للحق من مغـد
 وارفعي أعلام إيـمـا
 واطلعي كالشمس في كـ
 مثلما قد طلع النـود
 جددى الدين بأحـد
 وبما ربى به النـود
 لا كما ظن أنـاس
 أو غلو في اعتقـاد
 فامحقي كل ضلال
 واصدعي بالحق جهـرا
 وانشري أخلاق إسـلا
 تنعش الروح وتؤويـد
 وتربيهم بإيـمـا
 حيث يمضون سراعـا
 ويشيدون صروحـا
 ويعيشون رجـالا
 مثلما قد عاش أسـلا
 آثروا الدين فسـادا
 فتحوا الدنيا وزانـوا
 فأقاموا العـود
 ومضوا من بعد ما قد

1 - قصيدة للشاعر محمد الطنجي نشرت بمناسبة صدور العدد الأول من مجلة دعوة الحق.

فهرس العدد:

افتتاحية 7

مقالات العدد

فقه النوازل في مقالات مجلة دعوة الحق: إحصاء وتصنيف،

ذ. مصطفى الصمدي 11

العقيدة الأشعرية من خلال مقالات دعوة الحق،

ذ. أحمد شاوف الجعفري 19

عناية مجلة دعوة الحق بالمذهب المالكي

ذ. عبد الرزاق وورقية 33

مسيرة الفكر الصوفي في مجلة دعوة الحق المغربية،

ذ. خالد سقاط 47

حضور الفكر والثقافة الإسلامية في مقالات مجلة دعوة الحق،

ذ. سعيد شبار 65

الفكر الإصلاحى في كتابات دعوة الحق: عبد الله كنون أنموذجا،

ذ. عبد الوهاب الجايى 71

شروط النشر بالمجلة

تنشر المجلة الدراسات العلمية والبحوث المترجمة والمقالات الفكرية ومراجعات الكتب التي تتسم بالعمق والموضوعية، في مجالات العلوم الشرعية والفكر الإسلامي والحضارة وفق الشروط الآتية:

- أن يكون البحث أصيلاً لم يسبق نشره، وألا يكون مستلاً من بحث جامعي، أو أرسل للنشر في مجلة أخرى.
- أن تراعى قواعد البحث العلمي في توثيق المصادر والمراجع والإحالة عليها.
- ألا يزيد عدد صفحات البحث أو المقال عن 18 صفحة من حجم: A4.
- في حالة إرسال بحث مترجم يشترط إرسال نسخة من البحث الأصلي.
- في حالة وجود وثائق وصور، يرجى أن تكون موثقة وبدقة جيدة.
- تخضع المادة المرسلة للتحكيم العلمي، وتمنح المجلة مكافأة مالية عن كل بحث منشور، وفق النظام المعمول به في المجلة.
- ترسل البحوث بالبريد إلى عنوان المجلة مطبوعة على الورق، وفي قرص مضغوط، أو على البريد الإلكتروني، مع نبذة تعريفية عن صاحب البحث وعنوانه الكامل ورقم هاتفه.
- البريد الإلكتروني هو : alamihamid49@gmail.com
- ترتب مواد المجلة وفق اعتبارات فنية محضة لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة صاحبه.
- الأبحاث التي ترسل إلى المجلة لا تعاد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر، كما أن المجلة غير ملزمة بإيضاح أسباب عدم النشر.
- ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر كاتبه، ولا يمثل بالضرورة وجهة نظر المجلة أو الجهة التي تصدرها.

محاور الأعداد المقبلة:

تدعو إدارة مجلة دعوة الحق السادة الباحثين إلى الكتابة في أحد المحاورين الآتين:

1. إمارة المؤمنين والبعد الإفريقي

2. ثورة الملك والشعب.

